

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - المَصِير ..

أوشكت شمس ذلك اليوم ، من أيام منتصف الصيف ، على المغيب ، حينما توقفت واحدة من سيارات الأجرة ، أمام مبنى القنصلية المصرية فى (تاييه) ، عاصمة جزيرة (تايوان) ، وهبطت منها فتاة حسناء ، تبدو شاحبة الوجه ، مرتبكة الهندام ، على نحو مثير للدهشة ، حتى أن حارس القنصلية تطلع إليها فى توثر وحذر واضحين ، وهى تتجه إليه ، وكاد يشهر سلاحه فى وجهها ، حينما امتدت يدها إلى ثوبها ، لتلتقط منه جواز سفرها ، الذى ضاعف من دهشة الحارس ، بلونه الأحمر المميز لجوازات السفر الدبلوماسية ، وهى تقول بالإنجليزية فى حزم :

— أريد مقابلة القنصل المصرى ، وبسرعة ، فالأمر بالغ الأهمية .

لم يسع الحارس ، أمام ذلك الجواز الدبلوماسى سوى أن يسمح لها بالدخول ، بعد أن ألقى نظرة فاحصة مدققة على صورتها ، وراجع بيانات جوازها عدة مرات ، وهز رأسه

في حيرة ، وهو يتابعها ببصره ، في أثناء اتجاهها في حزم إلى مبنى
القنصلية ، عبر حديقتها الصغيرة ، ثم لم يلبث أن هزّ كتفيه ،
وهو يحاول إقناع نفسه بأن مظهرها ليس من شأنه ، قبل أن
يعود للوقوف في وضع منتصب ثابت ، لمواصلة حراسته
للمكان ..

ولم تكن دهشة العاملين بالقنصلية بأقل من دهشة الحارس ،
حينما رأوا الفتاة ، ولكن لغتها العربية ، ولهجتها المصرية
الصميمة ، وذلك الحزم الواضح في ملامحها وصورتها
ونظراتها ، جعل الجميع يعاملونها بالاحترام الكافي ،
ويتجاهلون هيتها الزرية ، وهم يطلبون منها الجلوس ، في انتظار
قدوم القنصل المصري لمقابلتها ..

وجلست ..

التعبير الأدق هو أنها قد سقطت ، من فرط التعب والإجهاد
والانفعال ، فوق أول مقعد صادفها ، وأغلقت عينيها في
تهالك ، وهي تحاول إقناع قلبها ، الذي يخفق في عُنف ، بخفض
دقاته ، والحصول على قدر من الراحة كجسدها ..

وعادت بها الذاكرة إلى الوراء ..

إلى البداية ..

كانت هذه الفتاة هي (منى) ..

(منى توفيق) ..

وكانت البداية في (مصر) ..

لقد اتصل مدير المخابرات العامة بـ (أدهم صبرى) ، في
السادسة صباحا ، وطلب منه أن يحضر إلى مكتبه في الإدارة
للأهمية ، وهناك أخبره أن أحد رجال المخابرات المصرية قد
اختفى في (تايوان) ، وهو يتبع رجل مخابرات أمريكيًا سابقًا ،
تشير التحريات إلى كونه أحد منظمي شبكات التجسس العالمية
حاليًا ..

وكان رجل المخابرات المصري هذا هو الرائد (خالد) ..

ابن مدير المخابرات العامة ..

وانتزع (أدهم) (منى) من فراشها بدورها ، وانطلق

الاثنان إلى (تاييه) ، عاصمة (تايوان) ..

وبدت العملية شديدة التعقيد منذ البداية ..

لقد كشف فور وصولهما ، أن رجل المخابرات الأمريكي

السابق ، (هنري كلارك) ، الذي حضر خصيصًا لتعقبه ،

يحتل الآن منصب رئيس شرطة المدينة ..

ولكن هذا لم يفت في عُضدهما ..

لقد قاتلا ..

قاتلا كل رجال الأمن في المدينة ..

وألقى القبض عليهما ..

ونجحا في الفرار ..

وبعد مطاردة عنيفة ، أظهر (أدهم) خلالها مهارته الفائقة

في قيادة السيّارت ، انتهى بهما الأمر إلى أحراش الجزيرة ..

واشترك الحاكم (كال) في المطاردة ..

وبات من الواضح أن (أدهم) و (منى) يواجهان كل

قوى الأمن والسلطة في المدينة ، وأتت بهما مخوضان الأحراش نحو

ذلك (المعتقل الرّهيب) الذي يرسل إليه (هنرى كلارك) ،

و (فرديناند كال) خصومهما ، والذي يرأسه ذلك الجنرال

الفرنسى السادى (أندريه) ..

وكان من الضروري أن يفترقا ..

وتركت (منى) (أدهم) وسط الأحراش ، تطارده

هليوكوبتر حربية ، يقودها (هنرى كلارك) ، وتُنظره

بالرصاصات ..

ومن خلال هروبها ، التقت (منى) بـ (كوريل) ، ذلك

الهارب من معتقل (أندريه) ، والذي أخبرها بمعلومات يشيب

لها الولدان ، جعلتها تصرُّ على الوصول إلى القنصلية المصرية بأية

وسيلة ممكنة ، دون أن تدري أن (أدهم) قد انتصر على

هليوكوبتر ، وأن (كال) قد قتل (هنرى) ، وأنه قد طارد

(أدهم) مع رجاله ، عبر الأحراش ، و

وأن (أدهم) قد سقط بين أيدي أعدائه ..

سقط في فخ أعدّه له الجنرال (أندريه) ، حيث أفقده

وعنيه ، وحمله معه إلى معتقله الرهيب ..

إلى الجحيم .. (*)

« آنسة (منى توفيق) » ..

انتفض جسد (منى) في قوّة ، حينما سمعت تلك العبارة ،

التي ألقيت على نحو تساؤلٍ شبه هامس ، وانتزعتها فجأة من

أفكارها وذكرياتها ، ففتحت عينيها دفعة واحدة ، وتطلّعت إلى

صاحب الصوت ، الذي يتطلّع إليها بمزيج من العطف والإشفاق

والرثاء والخيرة والتساؤل ، وقد بدا أنيقاً ، مهيباً ، في أواخر

الأربعينات من عمره ، ممّا جعلها تعتدل ، وتساله بدورها :

— القنصل المصرى !؟

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (المعتقل الرهيب) ..

المغامرة رقم (٧٣) .

أوماً الرجل برأسه إيجاباً ، وهو يقول في صوت خافت
متعاطف :

— ما الخدمة التي يمكنني تقديمها إليك ؟

أرادت أن تحوز أكبر قدر ممكن من اهتمامه وانتباهه منذ
البداية ، فاعتدلت ، وهي تقول في لهجة قوية حازمة :

— إنني أنتمى إلى المخابرات المصرية .

كانت افتتاحية موفقة للغاية ؛ فقد اعتدل القنصل على نحو
يؤكد عامل المفاجأة في أعماقه ، واتسعت عيناه لحظة في
دهشة ، وهو يحدق في وجه (منى) ، ثم لم يلبث أن قال في
اهتمام واضح :

— أظن أنه من الأفضل أن نتحدث في مكنتي الخاص ..

أليس كذلك ؟

أجابته في انضاب :

— بلى .

قادها في صمت إلى حجرة مكتبه الخاصة ، وأكد على
سكرتيره خارجها ألا يسمح لأى مخلوق بمقاطعتها ، مهما
كانت الأسباب ، ثم أغلق الباب خلفهما في إحكام ، ودعاها
للجلوس ، وجلس قبالتها ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ،
وهو يسألها في اهتمام بالغ :

— حسناً .. ماذا هناك ؟

اعتدلت ، وهي تقول في انفعال :

— مؤامرة .. مؤامرة شيطانية رهيبية ، تهدد اقتصاد وطننا
بإسيادة القنصل .

جعلته عبارتها وانفعالها ينتفض ، وهو يهتف :

— مؤامرة على اقتصادنا ؟!

قالت في انفعال :

— نعم بإسيادة القنصل ، فهناك ، في قلب الأحرار ،
يوجد معتقل سياسى رهيب ، يتم داخله طبع ملايين من أوراق
النقد المصرية ، وبكل الفئات .

اتسعت عينا القنصل ، وارتفع حاجباه في دهشة بالغة ،
وهو يهتف :

— تزوير ؟!

صاحت منفعة :

— بل أكثر خطورة ياسيدى .. إن أوراق النقد المصرية
تطبع بنفس الوسيلة ، وباستخدام نفس نوع الورق والأحبار ،
بحيث يستحيل كشف تزويرها ، لأنها ليست مزورة ، وإن
كانت غير شرعية أو قانونية .

عقد القنصل حاجبيه في شدة ، وهو يتطلع إليها في حيرة ،

هل أن يغتمم :

— ولكن هذا مستحيل !

ونهب من مقعده فجأة ، وبحركة حادة ، ولوح بكفه ،

فانلا :

— أتعلمين كيف يتم طبع أوراق النقد المصرية؟! .. إنها

عملية بالغة التعقيد ، تقوم بها واحدة من أخطر الشركات المالية

في (لندن) ، فتصميم الأوراق يتم في (القاهرة) ، ثم ترسل

التصميمات إلى (لندن) ، تحت حراسة مشددة ، وبسريرة

بالغة ، وهناك يتم صنع القوالب الطباعية ، على نحو بالغ الدقة ،

ثم تُطبع الأوراق المالية تحت ظروف بالغة التعقيد ، لا تسمح

بتسرب قطعة واحدة منها ، وباستخدام أحبار خاصة ، ذات

تركيبات سريرة ، وعلى ورق خاص ، يتم صنعه خصيصًا ،

ويزود بعلامة مائية مميزة ، وخيط فضي خاص .. وافتعال كل

هذا يكلف ثروة فائقة ، حتى أنه لمن المحتمل أن تزيد تكلفة

الأوراق المزورة بكل هذه الدقة ، عن قيمتها الفعلية(*) ، ثم إن

الحصول على كل هذا مستحيل تقريبًا .

(*) معلومة صحيحة .

نهضت (منى) بذورها ، وهي تقول في حدة :

— ولكن هذا قد حدث فعلاً ، ولا بُدَّ من منعه ، قبل أن

ينهار اقتصادنا .

سألها القنصل في حزم :

— هل رأيت كل هذا بنفسك ؟

أجابته في حدة :

— بل حصلت على المعلومات من أحد الهاربين من المعتقل .

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

— عجبًا!! .. إنهم يدعون استحالة الهروب من ذلك

المعتقل .. أليس كذلك ؟

هتفت في عصبية :

— هذا صحيح ، ولكن

قاطعها في حزم :

— ما الأدلة التي تستدين إليها إذن ؟

صاحت في غضب :

— هل سنتظر الحصول على الأدلة ؟

أجابها في حدة :

— ماذا تقترحين إذن ؟

٢ — جنرال الجحيم ..

غشاوة كثيفة ، أحاطت بذهن (أدهم) ..
غشاوة راحت تنجاب عن عقله تدريجياً في بطاء ، وهو
يستعيد شعوره بما حوله ..

وَمَنْ حوله ..

وكان هناك صمت وظلام ..

هذان فقط ما استقبلاه ، حينما استعاد كامل وعيه ، وفتح
عينيه في بطاء ..

أول ما شعر به هو الصداع الشديد ، ثم التساؤل
والخيرة ..

كان يرقد داخل مكان رطب للغاية ، مُظلم إلى درجة
مخيفة ، حتى ليبدو وكأنه جزء من أعماق الموت ..
وكان السكون يحيط به من كل جانب ..

وفجأة ، نذت حركة ما ..

حركة شديدة الخفوت ، أيقظت كل كوامن نفس
(أدهم) ، فانقبضت لها عضلاته في تحفُّز ، وانعقد لها حاجباه ،

لُوحت بذراعيها في حنق ، هاتفةً :

— أن نهاجم ذلك المعتقل ، وندمره بالتأكيد .

ازداد انعقاد حاجبيه في جدّة ، وهو يقول :

— أبدو لك تلك الأمور بسيطة إلى هذا الحدّ؟ .. إنك

تطالبين بشنّ حرب على جزيرة (تايوان) ، وهذا أمر بالغ

الخطورة .

صاحت في جدّة :

— ماذا تقترح أنت إذن ؟

صمت القنصل لحظات ، ثم أجاب في خفوت :

— لم يحن وقت الاقتراح بعُد .. إن علينا الآن أن نتأكد

من تلك المعلومات ، ثم نقرّر ماذا نفعل .. إنها ليست مشكلة

عواطف وانفعالات .

ثم استدار إليها مُردِّفاً في حزم :

— إنه مصير دولة .. دولتنا ..



وهو يُدير عينيه في الظلام الدامس حوله ، محاولاً تبين موضع تلك الحركة ..

وبعد لحظات من صمت تام ، ارتفع صوت من أعماق الظلمة ، يغمغم :

— هل استيقظت ؟

لوهلة بدا الأمر مثيراً للدهشة والحيرة معاً ؛ فلقد أقيت العبارة بصوت مألوف ، وبلغة عربية ، ولهجة مصرية محببة إلى نفس (أدهم) ، ثم لم يلبث عقله أن أدرك الأمر ، فهتف في لهفة :

— يا إلهي !! .. (خالد) ؟! .. أهو أنت ؟

أجابه الصوت في خفوت وضعف :

— نعم ياسيادة المقدم .. هو أنا .

كان الصوت يأتي من مسافة ثلاثين سنتيمتراً على الأكثر ، إلى يسار (أدهم) ، الذي رفع كفه ، واخترق بها حجب الظلام الدامس ، ليضعها على كتف (خالد) ، هاتفاً :

— حمدًا لله .. لقد عثرت عليك .

كان قد وضع كفه على كتف (خالد) في رفق شديد ، إلا أن هذا الأخير تأوّه في شدة ، كما لو كان (أدهم) قد صفعه

بكل ما يملك من قوّة ، فسحب (أدهم) يده في دهشة ، وهو يهتف في قلق .

— ماذا بك ؟ .. ماذا فعل بك هؤلاء الأوغاد ؟

غمغم (خالد) في خنق وألم :

— بل قل ما الذي لم يفعلوه .. لقد استجوبني ذلك الجنرال

الشیطان ، وفي هذا ما يكفي .. لقد انتزع ثلاثة من أظفاري ، وجلدني حتى كدت أفضى نحبي ، ثم دهن جسدي بمسحوق الفلفل الأحمر ، وصلبني تحت أشعة الشمس يومين كاملين .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم في غضب :

— يا للوحشية !!

تنهّد (خالد) ، وهو يقول في مرارة :

— هذا ما سيفعله بك أيضاً للأسف ، مادام قد حُظي

بك .. لقد علمت أنهم قد أسروك ، حينما رأيت وجهك لحظة ، وهم يلقون بك هنا ، ولست أشك في أن جنرال الجحيم هذا ينتظر عودتك إلى وعيك ، ليبدأ معك استجوابه الشيطاني .

لم يبد في صوت (أدهم) أدنى أثر للخوف ، أو القلق ،

وهو يسأله :

— ولكن كيف أوقفوا بك ؟ .. ولماذا ؟

تنهد (خالد) مرّة أخرى ، قبل أن يجيب :
— لقد نصبوا لي فخًا حقيرًا ، مثلما فعلوا بك بالتأكيد ؛
لأنني كشفت أمرهم ، وأمر منظماتهم الحقيرة .
اعتدل (أدهم) ، وهو يسأله في اهتمام :
— أيّة منظمة ؟
أجابه (خالد) :

— منظمة من نوع جديد ، يديرها أربعة أشخاص ، من
أربع دول مختلفة .. (هنري كلارك) من (أمريكا) ،
و (فرديناند كال) البريطاني ، و (أندريه دي فال) الفرنسي ،
(خواني كيرليوس) اليوناني .
غمغم (أدهم) بلهجته الساخرة :
— أهي عصبة أمم ؟

زفر (خالد) في ضيق ، وهو يقول :
— كيف يمكنك أن تمزج ، في مثل هذه الظروف بآسيادة
المقدّم ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :
— يمكنك أن تقول إنها عادة سخيفة .. المهم .. ما نوع
تلك المنظمة ؟



تنهد (خالد) ، وهو يقول في مرارة :
— هذا ما سيفعله بك أيضًا للأسف ، ما دام قد خطى بك ..

صمت (خالد) لحظة ، قبل أن يجيب في صوت مرتجف :

— اقتصادية .. منظمة اقتصادية إجرامية .

مطأ (أدهم) شفتيه ، وهو يسأله :

— ما المقصود بكونها اقتصادية إجرامية ؟

اجتاح الانفعال (خالد) فجأة ، وهو يقول :

— اسمع يا سيادة المقدم .. هل تعلم ما الذي يفعلونه

هنا ؟ .. إنهم يطبعون أوراق النقد المصرية ، لا تجعل الدهشة

تأخذ بلبك ، فلقد وقع اختيارهم على (مصر) ، ليبدؤوا بها

عملهم ..

سأله (أدهم) في اهتمام :

— أى عمل هذا ، الذى يستلزم طبع أوراق نقد مصرية ؟

أجابه (خالد) في توثر :

— تحطيم الاقتصاد المصرى .

تراجع (أدهم) ، وهو يهتف :

— يا إلهى !!

ثم انعقد حاجباه في غضب وصرامة ، وهو يقول :

— ومن سيسمح لهم بذلك ؟

هتف (خالد) في مرارة :

— ومن سيمنعهم ؟ .. لقد كنت الوحيد الذى يعلم

بخطتهم ، وهأنذا بين أيديهم ، لا أملك من أمرى شيئاً ، وكنت

أنت الشخص الوحيد فى العالم ، الذى يمكنه أن يتصدى لهم ،

ويوقع بهم ، ويحطم خطتهم ، ولكن هأنذا بين أيديهم مثلى

أجابه (أدهم) فى حزم :

— لن يطول هذا يا (خالد) .

ثم انحنى نحوه ، يسأله فى اهتمام بالغ :

— ما الذى تعرفه عن هذا المكان ؟ .. أخبرنى بكل

ما لديك .

أجابه (خالد) فى لهجة تشف عن اليأس والإحباط :

— إنه معتقل رهيب ، فى منتصف الأحراش ، وفى منطقة

بالغة الصعوبة والوعورة ، تبلغ مساحته ستة كيلومترات مربعة

تقريباً ، ويحاط كله بسور من الأسلاك الشائكة ، يبلغ ارتفاعه

خمسة أمتار ، ويسرى فيه تيار كهربى رهيب ، يكفى لصق

قطيع من الأفيال بلمسة واحدة ، وتحيط بالمعتقل كله دائرة من

المستنقعات ، الزاخرة بالتماسيح المفترسة ، ومناطق الرمال

المتحركة الواسعة ، وعلى شواطئها تمرح الثمور القاتلة ،

وثعابين (البوا) الضخمة .. باختصار ، إنها دائرة جهنمية ،
من المستحيل عبورها دون دليل محكك ، يحفظ أسرارها ودرورها
عن ظهر قلب ، وبالإضافة إلى ذلك ، هناك أكثر من مائتي رجل
مسلح داخل المعتقل ، ولدى كل منهم أوامر مشددة ، بإطلاق
النار فوراً ، ودون أدنى تردد ، على كل من تسول له نفسه مجرد
الاقتراب من الأسوار ، أو من مقر إقامة شيطان الجحيم هذا ،
ولو بحسن نية .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يفكر في عمق ، وقال :
— لا بد من وجود وسيلة ما .. لقد تعلمنا في المحاضرات أنه
ما من جهاز أمني ، يبلغ الحد المطلق من الكمال ، لا بد أن
توجد به ثغرة ، ولو ضئيلة ، ومهمتنا هي البحث عن تلك
الثغرة ، وتوسيعها ، ليتسنى لنا العبور من خلالها .

غمغم (خالد) في يأس :

— يمكننا أن نحاول على الأقل .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى تعالَى إيقاع منتظم من أعلى ،

فغمغم (أدهم) :

— ما هذا ؟

أجابه (خالد) :

— إنه وقع أقدام زبانية الجحيم .. لقد قدموا لاصطحابك

إلى جنرال الجحيم ، حيث يتم استجوابك .

رفع (أدهم) عينيه إلى أعلى ، وضافت حدقتاه ، حتى

انفتحت فجأة ثغرة في سقف المكان ، وغمر المكان ضوء

ساطع ، أجبر (أدهم) على إغلاق عينيه في ألم ، والإطراق

بوجهه أرضاً ، وهو يسمع صوتاً ساخراً خشناً ، يقول :

— إذن فهذا هو البطل المصري !

أجابه صوت آخر غليظ ، لم يخجل من رنة السخرية ذاتها :

— لا تبخسه قدره يا رجل .. إنه يبدو ممشوق القوام ،

مفتول العضلات .

أطلق الأول ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— ستزداد عضلاته سمكاً هنا بالتأكيد ، بعد أن نضيف إليها

بعض الكدمات والأورام .

ثم استطرد في غلظة وحشونة ، وهو بصوب فوهة مدفعه

نحو (أدهم) :

— اصعد أيها المصري ، وحذار أن تأتي ما يثير شكوكنا ،

وإلا حولناك إلى كومة من اللحم المفري ، تأنف حتى الكلاب

من تذوقها .

٣ — المصيدة ..

تنهّد القنصل المصرى فى عمق ، وهو يتطلّع عبر نافذة مبنى القنصلية ، إلى شوارع مدينة (تاييه) ، عاصمة قلعة الصناعة الشرق آسيوية (تايوان) ، وشرده يبصره وأفكاره لحظة ، حتى سمع صوت الملحق العسكرى للقنصلية يتحنح خلفه ، فالتفت إليه ، وسأله فى اهتمام :

— هل استسلمت للنوم ؟

أوماً الملحق العسكرى برأسه إيجاباً ، وقال :

— على الفور .. من الواضح أنها مرهقة للغاية ، ولقد استنزف الانفعال معظم قواها .

ران عليهما الصمت لحظة ، قبل أن يستطرد الملحق العسكرى :

— ماذا ينبغى أن نفعل ، بشأن قصتها ؟

عاد القنصل يتنهّد فى عمق ، قبل أن يجيب :

— الأمر شديد التعقيد فى الواقع ، فذلك المعتقل ، على الرغم من موافقتنا أو رفضنا لذلك الأسلوب فى الحكم ، يقع

شعر (أدهم) بالغضب ، وأقسم فى أعماقه على أن يلقن ذلك الوغد درساً ، إلا أنه كتم مشاعره فى أعماقه ، وهو يقول فى هدوء :

— سأصعد .

تعلّق فى سلّم صغير من الجبال ، وصعد به إلى أعلى ، حيث وجد ثلاثة رجال آخرين ، يصوبون إليه مدافعهم الآلية ، وهم يتسمون فى سخرية وشماتة ، بالإضافة إلى الرجلين الأولين ، اللذين أغلقا باب الزنزانة السفلية مرّة أخرى ، والتفت أولهما إلى (أدهم) ، وألصق فؤوه مدفعه الآلى بظهره ، وهو يقول بذلك المزيج المقيت من السخرية والشماتة :

— سير أمامى أيها البطل الورقى .. سنذهب إلى الجنرال ، حيث ستجد لديك رغبة قوية ، فى سرد قصة حياتك منذ الطفولة ، حينما يبدأ جنرالنا الهمام فى استضافتك ، و ولم يتمّ الرجل عبارته أبداً .

لم يتمّها ؛ لأن (أدهم) تجاهل المدافع الخمسة المصوّبة إليه ، ودار على عقبيه بكل ما يملك من سرعة وقوّة ورشاقة ، وهوى بقبضته على أسنان الرجل فى لكمة كالقنبلة ..

وكان فى هذا ما يكفى لبدأ القتال ..

ويشتعل الجحيم ..

تحت السيادة التايوانية ، وليس من حقنا — طبقاً لكل اللوائح
الديبلوماسية — أن نطالب بتفتيشه ، أو الاطلاع على ما يدور
داخله ، ثم إننا لا نملك دليلاً واحداً على صدق أقوال فتاة
الخبابرات .

سأله الملحق العسكري ، مرةً أخرى ، في اهتمام :
— هل ستجاهل الأمر إذن ، على الرغم من خطورته ؟
هز القنصل رأسه في خيرة ، وأجاب :
— لست أدري .. إنني لم أمر بمثل هذا الموقف المعقد
المتشابك من قبل ، ولقد أبرقت إلى (القاهرة) ، أستشير فيما
ينبغي أن نفعل ، وأظن أنهم سيستغرقون وقتاً طويلاً لاتخاذ
القرار في هذا الشأن .

وعاد يشرد ببصره مرةً أخرى ، وهو يُردف في خفوت :
— طويلاً للغاية ..

يمكننا أن نجزم ، بكل ثقة ، أن هجوم (أدهم) المباغت
قد أربك الرجال الخمسة بالتأكيد ، أو أن (أدهم) كان
يتحرك بسرعة مذهلة حقاً ، حتى أن عقول هؤلاء الخمسة لم
تدرك الموقف ، إلا بعد فوات الأوان ..

لقد سقطت قبضته على فم الرجل الأول ، فحطمت صف
أسنانه الأمامي كله ، وأصابته بصدمة طرحت أرضاً ، وملاّت
فمه بالدماء ، قبل أن يدرك حتى ماذا حدث ..

وفي سرعة مذهلة ، دار (أدهم) على عقيبه ، في رشاقة
راقص باليه محترف ، وركل أقرب المدافع الآلية إليه ، ثم قفزت
قدماه في آن واحد ، لتركلا أنف الرجل الثاني ، وحنجرة
الثالث ، وتحركت قبضتاه في الوقت ذاته ، فغاصت اليمنى في
معدة الرابع ، وقبضت اليسرى على معصم الخامس ،
وتراجعت اليسرى في قوة ، لتجذب الخامس إليه ، على حين
خرجت اليمنى من معدة الرابع ، واندفعت كالقنبلة إلى فك
الخامس ، فحطمته ، قبل أن تعود إلى أنف الرابع ، وتحيله إلى
لحم مفريّ ذموي ..

وكم كانت دهشة (خالد) بالغة ، حينما رأى (أدهم) يطل
عليه من فتحة الزنزانة العلوية ، حاملاً مدفعين آليين ، ومبتسماً
في هدوء ، وهو يقول :

— مَرَحِي يا صديقي .. يبدو أننا سنغادر هذا المكان .

هتف (خالد) في ذهول :

— ماذا حدث ؟

أجابه (أدهم) بلهجته الساخرة المعهودة :

— لست أدري .. لقد أقيت التحية على هؤلاء الأوغاد
الخمسة ، فسقطوا فجأة فاقدى الوغى .. يبدو أنى أمتلك
صوتًا مؤثرًا بالفعل .

تهللت أسارير (خالد) ، وهو يقول :

— بل تمتلك ناصية المستحيل نفسه يا سيادة المقدم .
مدّ (أدهم) يده إليه ، يعاونه على الصعود ، ثم سأله في
اهتمام :

— أتظن أنه يمكنك أن تقاتل ؟

أجابه (خالد) في حماس :

— بالتأكيد .

كان يرتدى ثوبًا ممزقًا ، مهترًا ، فراح يستبدل به زى أحد
رجال المعتقل ، وحذا (أدهم) حذوه ، وهو يقول :

— ينبغي أن تدرك حجم المخاطرة جيدًا يا (خالد) ،

فلنخرج من هنا ، سيكون علينا أن نقاتل مائتى رجل .

أوماً (خالد) برأسه إيجابًا ، وقال :

— أعلم ذلك ، وصدّقنى يا سيادة المقدم ، لو أنك عانيت

ما عانيته أنا هنا ، لبدا لك الموت أمنية ، بالمقارنة بالحياة هنا .

تنهد (أدهم) وقال :

— فايكن إذن .. هيا بنا .

شهر كل منهما مدفعية الآلين ، واتجها نحو باب المبنى ،
الذى يرتفع فوق تلك الزنزات السفلية المظلمة ، واحتلسا
النظر من فرجته ، قبل أن يقول (أدهم) فى اهتمام :

— حسنًا .. أى تلك المباني الأربعة ، هو مقر قيادة الجنرال

الوغد (أندريه) ؟

أجابه (خالد) فى اهتمام :

— ذلك المبنى إلى أقصى اليسار ، هو مطبعة أوراق النقد ،

حيث يعمل المعتقلون ، أما المبنى المجاور له ، وذلك الذى فى

أقصى اليمين ، فهما يخصّان رجال الحراسة ، والقيلا التى بينهما

هى مقر قيادة (أندريه دى فال) .

صمت (أدهم) لحظات ، وكأنما يضع حطّته ، ثم قال :

— حسنًا .. سننطلق من هنا إلى قيلا (أندريه) مباشرة ،

وما دمنا نرتدى زى هؤلاء الأوغاد ، فسنستغل ذلك إلى أقصى

حدّ ، وسنغادر هذا المكان القذر فى هدوء ، ونسير متجاوزين

حتى القيلا ، وعندما نبلغ أقصى حدّ يمكن بلوغه ، قريبًا من

القيلا ، سنبدأ هجومنا بغتة .

غمغم (أدهم) في حماس :

— لا بأس .

جذب كل منهما إبرة مدفعه الآلي ، ثم قال (أدهم) في

حزم :

— هيا .

ودفع باب المبنى ، وخطا مع (خالد) إلى فناء المعتقل ..

إلى قلب الجحيم ..

ارتسمت ابتسامة باهتة ، تبدو أشبه بالابتسامات
الساخرة ، على وجه (فرديناند كال) المكتظ ، وهو يصبُّ
لنفسه كأساً من الخمر ، ويقول لـ (أندريه) ، الذي جلس
هادئاً ، بارد الملامح ، يتابع مشهداً ما في هدوء مثير :

— أتروق لك لعبة القَطِّ والفأر هذه يا عزيزي

(أندريه) ؟

أجابه (أندريه) في برود :

— بالتأكيد .. إنها لعبتي المفضلة .

تناول (كال) كأسه ، واتجه ليجلس إلى جواره ، قائلاً :

— ما الذي يُروق لك فيها ؟



شهر كل منهما مدفعية الآليين ، واتجها نحو باب المبنى ، الذي يرتفع فوق

تلك الرنزانات السفلية المظلمة ، واختلسا النظر ..

حِيلَ إليه لحظة أن (أندريه) لم يسمعه ، أو أن الأمر لا يعنيه
على الإطلاق ، قبل أن يقول هذا الأخير في برود :
— كل شيء ... مرأى الفأر ، وهو يظن نفسه آمناً ، يضع
حطته ، وينفذها في إحكام ، على حين تراقبه عينا القِطُّ في
ذكاء ، والجدل يملأ نفس هذا الأخير ، واللهفة تشتعل في
أعماقه ، لبدء ذوره في اللحظة المناسبة .
تطلع إليه (كال) في دهشة ، وخامره شعور بالخوف ،
وعدم الثقة في ذلك الفرنسي الأشيب النحيل ، ذى الشارب
الكث ، الذى يبدو كوحش مفترس ، لا يجد متعته إلا في إراقة
الدماء ، ومشاهدة الموت ، وغمغم (كال) في توثر :
— ومتى تحين تلك اللحظة المناسبة ؟
أجابه (أندريه) بنفس البرود :
— حينما يتصور الفأر أنه قد بلغ أول خيط للفوز .
وبرقت عيناه ببريق مخيف ، وهو يُردف :
— حينئذ يكون وقع الهزيمة عليه مدمراً .
مرة أخرى تطلع (كال) إلى وجهه في خوف خفى ،
سرعان ما انفضه من أعماقه ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول في
جدّة :

— يالها من متعة !!

ارتسمت على شفتي (أندريه) ابتسامة مخيفة ، وهو يقول
في هدوء :

— ألا تُروق لك ؟

جرع (كال) ماتبقى من كأسه دفعة واحدة ، ووضع
كأسه على المنضدة في جدّة ، ولوح بذراعه ، قائلاً :

— كلاً .. إننى أفضل إنهاء الأمور عادةً في سرعة .

ابتسم (أندريه) في سخرية ، وهو يقول :

— أسلوبك هذا يفسد كل المتعة .

عقد (كال) حاجبيه ، وهو يقول في عصيئة :

— ولكنه يتماشى مع روح العصر .

غمغم (أندريه) ، وكأنما لم يفهم مغزى العبارة :

— روح العصر !؟

عاد (كال) يلوح بذراعيه ، قائلاً :

— نعم .. روح العصر .. السرعة والإتقان .. إنهما روح

العصر .

عاد (أندريه) يتسم نفس الابتسامة المخيفة ، وهو يقول :

— فلتقل إذن إننى عتيق الطراز .

أرخی (أدهم) تلك القبعة التقليدية ، التي يرتديها رجال
(أندريه) ، فوق عينيه ، وهو يغمغم محدثًا (خالد) :

— استعد .. لقد اقتربنا كثيرًا .. وعندما نصل إلى بوابة
القبيلة ، سنبداً هجومنا ، و

بتر (أدهم) عبارته فجأة ، على نحو أثار توتّر (خالد)
وقلقده ، فسأله :

— ماذا حدث ؟

أجابته (أدهم) في صوت خافت ، يجمع بين الحنق
والحزم :

— انظر هناك .. توجد كاميرا تليفزيونية تتابعنا ، فوق
مدخل القبيلة ..

أراهنك أن ذلك الجنرال الشيطان قد علم من نحن ..
اختلس (خالد) النظر إلى آلة التصوير ، وغمغم في توتّر :

— يا إلهي !! .. أنت واثق من هذا ؟

غمغم (أدهم) في حزم :

— إلى حد كبير .

غمغم (كال) في عصبية :

— هذا شأنك .

ثم أشار إلى الشاشة التليفزيونية ، المنصوبة أمامهما ،

مستطرذاً في حدة :

— متى ينتهي هذا السُخف ؟

ابتسم (أندريه) ابتسامة شرسة ، وتألقت عيناه ببريق

وحشي مخيف ، وهو يقول :

— حينما يظنّ الفأران أنهما قد بلغا مشارف النجاح ..

عندئذ فقط يحيط بهما الفشل .

وأطلق ضحكة وحشية ساخرة ، وهو يراقب الشاشة ،

التي نقلت إليه صورة رجلين يتقدّمان نحو قبيلته ..

صورة (أدهم) و (خالد) ..



اشتدت قبضة (خالد) على مدفعه ، وهو يغمغم :

— ماذا سنفعل إذن ؟

أجابه (أدهم) في هدوء ، ودون أن يرفع عينيه عن آلة

التصوير :

— لا مجال للتراجع .. سنفاجئهم قبل أن يفاجئونا .

سأله بمزيد من التوتر :

— كيف ؟

جذب (أدهم) إبرة مدفعه ، قائلاً في صوت قوى :

— سنهجم الآن .

وفور نطقه بأخر حروف كلمته ، شَهَرَ كلاهما مدفعه ،

وانطلقا بغتة نحو القيلآ ..

واشتعلت النيران في قلب الجحيم ..

بدا صوت الملحق العسكرى مُفَعَّمًا بالأسف والأسى ، وهو

يدلف إلى حجرة القنصل ، قائلاً :

— لقد وصل ردّ (القاهرة) .

رفع إليه القنصل رأسه ، يسأله في اهتمام :

— بِمَ أجابوا ؟

تنهَّد الملحق العسكرى في أسف واضح ، وهو يقول :

— بضرورة مراعاة العلاقات الدبلوماسية أولاً ، حتى يتم

الحصول على دليل قاطع .

بدا لحظة أن القنصل قد تجمَّد في مكانه ، ثم لم يلبث أن عاد

يسترخى في مقعده ، وهو يقول :

— كنت أتوقَّع ذلك .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يغمغم الملحق

العسكرى :

— هل تعلم ؟ .. إننى أكره التحركات السياسية البطيئة .

غمغم القنصل في حُفوت :

— ولكنها حتمية .

مطَّ الملحق العسكرى شفثيه ، قائلاً في حَقِّ واضح :

— ومضِيعَة للوقت .

تنهَّد القنصل مغمغماً :

— ربَّما .

ران عليهما الصمت لحظة أخرى ، قبل أن يقول الملحق

العسكرى ، في لهجة حازمة :

— إننى أفضل أسلوب هذه الفتاة .

تردّد القنصل ، وبدا لحظة وكأنه سيوافق على قوله ، ثم
لم يلبث أن لَوَّح بكفه ، قائلاً :

— لكل منا دُورُه .
شرد بصر الملحق العسكرى لحظات ، قبل أن يقول في
حزم :

— نعم .. لكل منا دُورُه ..
وتألقت عيناه بريق عجيب ..

من العجيب حقًا ، أنه ، وعلى الرغم من أن (أندريه) كان
يراقب كل تحركات (أدهم) و (خالد) ، إلا أن هجومهما
قد فاجأه حقًا ..

ربما لأنه لم يكن يتوقعه في تلك اللحظة بالذات ..
أو أنه لم يتصور أبدًا أن يفقد زمام المبادرة هكذا بغتة ..
ولقد فوجئ كل رجال (أندريه) بالهجوم أيضًا ..
كان كل شيء — بالنسبة لهم — يسير على ما يرام ، حينما
فوجئوا بالنيران تشتعل بغتة ، وبائنين يرتديان زيًا يشابه زيَّهم ،
يندفعان فجأة نحو القبلا ، وهما يطلقان النيران حولهما في
غزارة ..

ومضت عشر ثوان كاملة ، قبل أن يُفريق رجال (أندريه)
من دهشتهم ، وخلال هذه الثواني العشر ، كان (أدهم)
و (خالد) قد بلغا مدخل القبلا ، وأطلقا النيران على
حارسها ، واقتحماها ببسالة نادرة ..

واستقبلهما بالداخل طاقم مكون من ستة حراس ، أطلقا عليهم
النيران مباشرة ، ولكن رصاصات (أدهم) و (خالد) كانت
أكثر دقّة ، فلقد أسقطا أربعة من الحراس الستة مباشرة ، دون
أن تصيبهما رصاصة واحدة ، ولكن ..

من العجيب أن الأمور كلها تنقلب ، بعد تلك الحروف
الثلاثة .. اللام والكاف والنون ..

الهزيمة تتحوّل إلى نصر ..
والنصر يتحوّل إلى هزيمة ..

لقد كانت كل الدلائل تشير إلى أن (أدهم) و (خالد)
قد نجحا في اقتحام القبلا ، وأنهما سرعان ما يسيطران عليها ،
ويوقعان بالجنرال الشيطاني ، ولكن فجأة انطلقت داخل بهو
القبلا سحب كثيفة من الدخان ..

دُخان مخدّر خاص ، أدرك (أدهم) كنهه على الفور ،
فصاح في رفيقه :

الضوء الخافت ، جسد رجل ، يجلس هادئاً فوق مقعد وثير ،
في نهاية الحجرة ، فامتدَّت يدها بحركة غريزية ، تبحث عن
مسدسها ، وشعرت بخنق شديد حينما لم تجده ، وتحركت على
نحو يوحى بأنها ستهاجم الرجل ، الذي أوقفها قائلاً :
— مهلاً .. لا داعي لكل ذلك التوتر والانفعال .. إنني
العقيد (مجدى) ..

الملحق العسكري .
عقدت حاجيبها ، وهي تحاول تبين ملامحه ، وسط الضوء
الخافت ، قبل أن تقول في حدة وخشونة :
— ما الذى تفعله هنا ؟

حمل إليها صوته كل خجله وارتباك ، وهو يغمغم :
— معذرة .. إننى لم أقصد ذلك .. لقد كنت متلهفًا
لاستيقاظك ، حتى أننى لم أطق صبرًا ، فجلست أناملك ،
و

بدا من الواضح أنه لم يجد ما يضيفه ؛ إذ بتر عبارته ، وصمت
لحظات ، قبل أن يغمغم في صوت أشدَّ خفوتًا :
— معذرة .

تنهدت ، وهي تلوح بكفها ، مغممة :

— احترس .. إنه غاز مخدر ..
حاول (خالد) أن يجس أنفاسه ، إلا أن هذا بدا له
مستحيلًا ، فتراجع وهو يطلق رصاصات مدفعة في سحاء ،
وكذلك فعل (أدهم) ، ولكن نيران حراس المعتقل استقبلتهما
عند مدخل القبلا ، ولم يعد هناك مفر ..

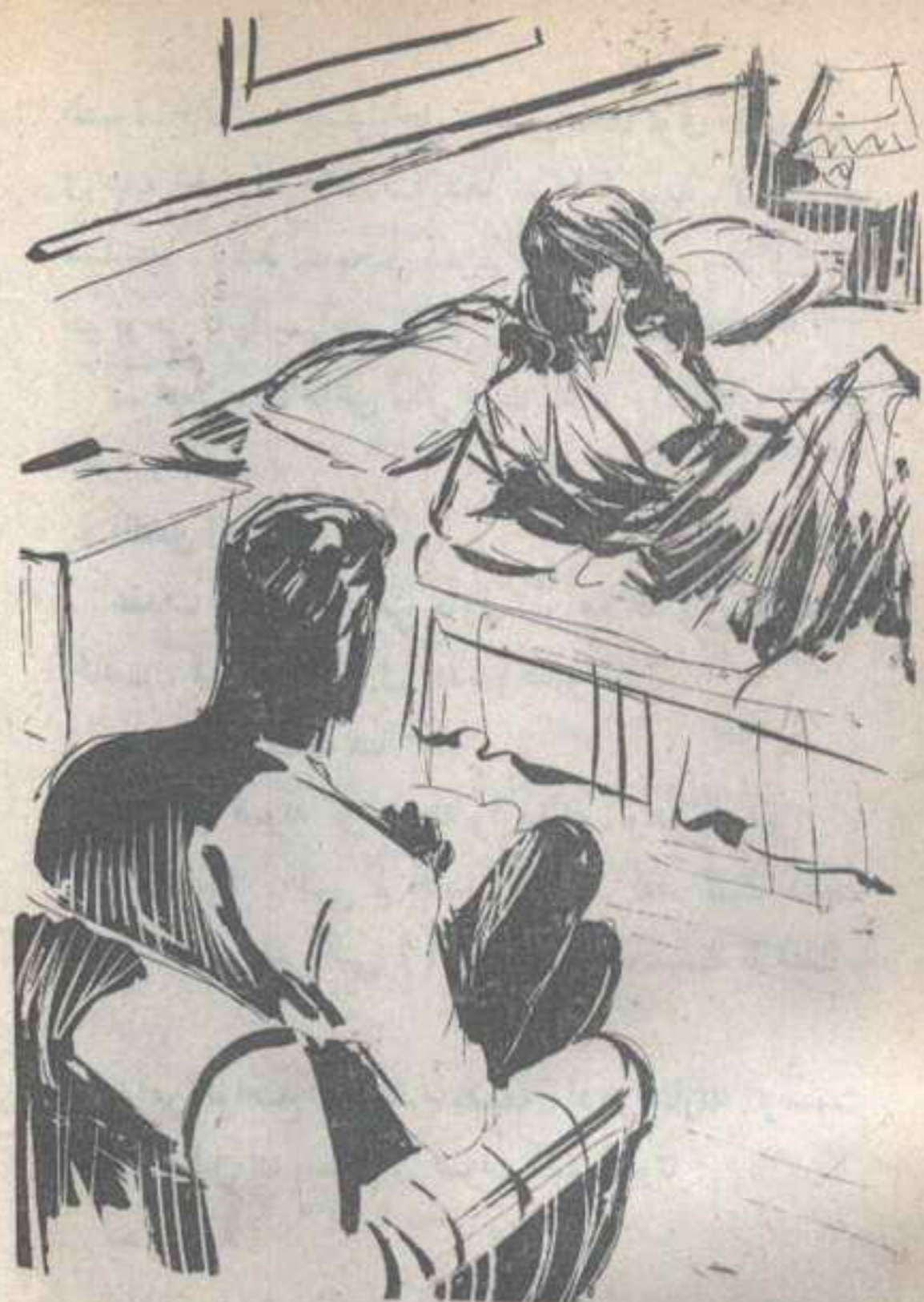
الجحيم أمامهما وخلفهما ..
نيرانها أمامهما ، وذخاها خلفهما ..
وعلى الرغم منهما ، راح الغاز المخدر يؤدى عمله ..
وسقطا ..

سقط بطلانا فاقدى الوعى ، وسط أعدائهما ..
وأعلنت الجحيم انتصارها في الجولة الثانية ..
انتصارها الساحق ..

انتفضت (منى) فجأة في فراشها ، ونحى إليها أن خنجرًا
قد احترق قلبها ، ودفعتها إلى الاستيقاظ دفعة واحدة ، فهبت
جالسة على فراشها ، وهي تهتف في لوعة :

— (أدهم) !؟

احتبست الحروف فجأة في حلقها ، حينما بدا لها ، على



احتبست الحروف فجأة في حلقها ، حينما بدا لها ، على الضوء
الخافت ، جسد رجل ، يجلس هادئاً فوق مقعد وثير ..

— لا عليك .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يسألها فجأة في

اهتمام :

— أنتمين حقاً للمخابرات المصرية ؟

أعادها سؤاله فجأة إلى واقعها ..

إلى كل عذاب الواقع ..

إلى خوفها على (أدهم) ، وجهلها لمصيره ..

وهتفت في توثر :

— يا إلهي !! ما كان ينبغي أن أستسلم للنوم .

قفزت من فراشها على نحو أدهشة ، وراحت ترتدى

حذاءها في سرعة ، وهي تقول في لهفة :

— قل لي يا سيادة الملحق العسكري .. أيمكنك أن تعبرني

سلاحاً ، أو

قاطعها في خيرة :

— مهلاً .. ما الذي تنوين فعله ؟

أجابته في حزم :

— اسمع يا سيادة الملحق العسكري لقد كشفت مؤامرة

شيطانية رهيبية ، تهدف إلى تدمير اقتصاد (مصر) ، ولقد

أنبأتكم بها ، وعليكم أن تتخذوا الإجراءات اللازمة ، لمنع
ودراء الخطر القادم ، أما أنا ، فلدى مهمة بالغة الخطورة
والأهمية ، فلقد انفصلت عن زميلي وسط الأحراش ، وكانت
هناك هليوكوبتر تطارده ، ولا بد لي من العودة إليه ، و
قاطعها الملحق العسكري ، وهو يهتف في دهشة :

— هليوكوبتر؟! .. لقد لقي حتفه بالتأكيد .. ما من رجل
يصمد أمام (هليوكوبتر) ..

عقدت حاجبها ، وهي تقول في حزم :

— ليس عندما يكون هذا الرجل هو (أدهم) .

اتسعت عينا الملحق العسكري فجأة ، وحدث في وجهها
بدهشة ، وهو يهتف :

— (أدهم)؟! .. مهلاً .. أزميلك هذا هو (أدهم

صبرى) ؟

سأله في دهشة :

— هل تعرفه ؟

هتف في حماس :

— ومنذا الذى يجهله ؟

ثم أمسك معصمها ، مردفاً في حزم :

— لقد عاونتى تلك المعلومة على حسم أمرى تماماً .. إننا
سنعود إلى الأحراش معاً ..

واعتدل ، مستطرذاً في اعتزاز :

— من أجل (أدهم صبرى) .

« يبدو أنه قد استعاد وعيه » ..

كانت تلك العبارة الباردة الصوت والنبات ، هي أول
ما تسلّل إلى ذهن (أدهم) ، وهو يستعيد وعيه للمرة الثانية ،
ففتح عينيه في ببطء ، وتطلّع في هدوء إلى صاحب الوجه
النحيل ، والشارب الكث ، الذى يقف أمامه في صرامة ،
مرتدياً زيّه العسكري القديم ، الذى يعود طرازه إلى الحرب
العالمية الثانية ، وغمغم في سخرية :

— عجباً!! .. لم أكن أتصوّر أن زبانية الجحيم يرتدون زيّاً
رسمياً !

لم يزد (أندريه) على أن مطّ شفتيه في برود ، وهو يقول :

— دُعابة سخيفة .

استعاد ذهن (أدهم) صفاءه تماماً ، فتبيّن له أنه يجلس فوق

مقعد كبير ، وإلى جواره ، وعلى مقعد مماثل ، يجلس (خالد)

٥ - العذاب ..

جلست (منى) صامته بعض الوقت ، داخل سيارة الملحق
العسكري ، التي يقودها هو عبر شوارع (تاييه) ، على نحو
يؤكد علمه بالجهة التي يذهب إليها ، ثم لم تلبث أن سأله فجأة :

— هل تعرف (أدهم) منذ زمن طويل ؟

ابتسم الملحق العسكري ، وأجاب في هدوء :

— منذ عام ألف وتسعمائة واثنين وسبعين .

تأملته في اهتمام ، وهي تقول :-

— كنت زميله في القوات الخاصة إذن ؟

أوما برأسه إيجاباً ، فهتمت بإلقاء سؤال آخر ، لولا أن

توقف بالسيارة ، وغادرها ، وهو يقول :

— انتظري هنا .

قبعت في مكانها تنتظره في قلق ، وهي تتساءل عن السبب ،

الذي حدا به إلى إحضارها إلى تلك البقعة التجارية ، التي تُعدُّ

من أكثر مناطق التجارة شهرة ، في (تايوان) كلها ، وراحت

تنقل بصرها بين المارة ، حتى رآته يعود ، بصحبة شاب

آسيوي ، دلف إلى المقعد الخلفي للسيارة في صمت ، على حين

فاقد الوعي ، وخلفهما ما يقرب من عشرة رجال ، يصوبون
إلى رأسيهما قوّهات مدافعهم الرشاشة ، وأمامهما يقف الجنرال
(أندريه) ، بجسده النحيل وشاربه الكَث ، و (فرديناند
كال) ، بجسده البدين ، ووجهه المكتظ الحليق ، وهو يحتسى
كأساً من الخمر ، ويتفرّس في وجه (أدهم) في اهتمام بالغ ..
ولكن شيئاً آخر جذب اهتمام (أدهم) وانتباهه في شدّة ..
وكان ذلك الشيء هليوكوبتر صغيرة ..

هليوكوبتر تقبع ساكنة ، وسط فناء صغير ، يبدو من نافذة

خلف (أندريه) ..

ولقد بدت تلك الهليوكوبتر لـ (أدهم) وسيلة جيّدة ؛

للفرار من المعتقل ..

ومن قلب الجحيم ..

ولكن كيف ؟ ...

كيف ؟ ..



انتقل الملحق العسكري إلى مقعد القيادة ، وانطلق بالسيارة ،
وران على الثلاثة صمت طويل ، قبل أن يقول الملحق العسكري
بالإنجليزية :

— كيف حال جهاز استخباراتك يا (مونو) ؟

أجاب الشاب الآسيوي في هدوء واقضاب :

— جيد .

ابتسم الملحق العسكري ، وقال :

— ترى كم تكلف المعلومات الآن ؟

أجاب الشاب ، وهو يسترخي في مقعده :

— هذا يتوقف على نوعها وكمها .

عقد الملحق العسكري حاجبيه في صرامة ، وهو يقول :

— سأدفع لو أنها تستحق .. ألدك أية معلومات عن

مطاردة بين هليوكوبتر ورجل ، في الأحراش ؟

ران الصمت لحظة ، ثم قال (مونو) :

— أنت على استعداد لدفع ألف دولار أمريكي ؟

أجابه الملحق في اقضاب وحزم :

— نعم .

اعتدل (مونو) ، وأخذ يقول في حماس :

— لقد كانت هناك هليوكوبتر حربية ، تحمل رجلين :
أحدهما رئيس الشرطة (هنري كلارك) ، وكانت تطارد
شيطاناً .

عقد الملحق العسكري حاجبيه في شدة ، وهو يغمغم :

— شيطان ؟!

أجابه (مونو) في حماس :

— نعم .. شيطان !! رأيت في حياتك كلها رجلاً عادياً

يوقع هليوكوبتر ، ويحطمها تحطيمًا ؟!

تهللت أسارير (مني) ، وهي تهتف :

— كنت أعلم ذلك .. كنت أعلم أنه سينتصر ..

لم يهم الملحق العسكري بفرحتها ، وهو يسأل (مونو) :

— وماذا حدث لذلك الشيطان بعد ذلك ؟

أجابه (مونو) في لهجة توجي بالأسف :

— لقد أوقعه الجنرال (أندريه) في فخ ، وأفقده وعيه ،

وحمله إلى معتقله .

شحب وجه (مني) ، وهي تهتف في ارتياح :

— يا إلهي !! .. أهو حي ؟

هز (مونو) رأسه نفيًا ، وهو يغمغم :

— لا أحد يدركى .. من المستحيل معرفة ما يحدث داخل
الدائرة الجهنمية .. إن حدود معرفتى تقتصر على خارجها
فحسب .

قال الملحق العسكرى فى حزم :

— حسنا يا (مونو) .. هذا يكفى .

ثم التقط من جيبه رزمة من أوراق مالية ، ألقاها إليه ،
فالتقطها (مونو) بابتسامة واسعة ، وانحنى قائلاً :

— شكراً يا سيدي .. (مونو) فى خدمتك دوماً .

أوقف الملحق سيارته على جانب الطريق ، فغادرها
(مونو) فى سرعة ، وانحنى مرة أخرى ، على حين هتفت
(منى) فى ارتياح :

— يا إلهى !! .. (أدهم) هناك .. (أدهم) بين أيديهم .

غمغم الملحق العسكرى فى ألم ومرارة :

— لا أظنهم ستركونه حياً .

تشبثت به ، وهى تهتف :

— لن نجلس ونتركه بين أيديهم ، لا بُدَّ أن نفعل شيئاً ..

لا بُدَّ .

أوماً برأسه فى هدوء ، وهو يقول فى حزم :

— اطمئنى .. إننا لن نتركه لهم .. سننطلق خلفه عبر
(الدائرة الجهنمية) ..

سنخترق أسوار الجحيم .

ظلَّ (أندريه) يراقب (أدهم) لحظات ، بنظراته الباردة
الصارمة ، قبل أن يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً :

— أسلوبك فى القتال مثير حقاً يا مستر (أدهم) .. ولكن

فاتك أن تعلم أن كل ركن فى معتقلى مراقب بآلات التصوير

التليفزيونية .. لقد راقبتك وأنت تقاوم رجالى الخمسة فى سرعة

ومهارة مذهلتين .. إنك تستحق حقاً ذلك الاهتمام الشديد ،

الذى كان يُوليك إيَّاه (هنرى) قبل مصرعه .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— وأنت لا تستحق لقب جنرال هذا .. إنك أشبه بمهرجى

السيرك .

لم يند أى تأثير فى ملامح (أندريه) الباردة ، على حين ابتسم

(كال) ، وكأئما راقى له دُعابة (أدهم) ، وقال :

— ليس إلى هذا الحد .

التفت إليه (أندريه) ، ورمقه بنظرة صارمة ، ثم التفت

إلى (أدهم) قائلاً :



— اسمع يا مستر (أدهم) .. إنك الآن في معتقلي الخاص ، أو كما يطلق عليه البعض ، جحيمي الخاص ، ونحن هنا لا نتسامح مع من يسخرون منا ..

— ذعابة سخيفة كالمعتاد يا مستر (أدهم) .

قال (أدهم) في سخرية :

— عجباً !!... من قال إنها ذعابة ؟!

انعقد حاجبا (أندريه) ، على نحو يشف عن غضبه ، ومال

نحو (أدهم) ، قائلاً في صرامة :

— اسمع يا مستر (أدهم) .. إنك الآن في معتقلي الخاص ،

أو كما يطلق عليه البعض ، جحيمي الخاص ، ونحن هنا لا نتسامح

مع من يسخرون منا ، وأساليينا في استجوابهم وترويضهم

فريدة مميزة .

وفرقع سبأته وإبهامه ، وهو يعتدل ، فدفع بعض رجاله

رجلاً زرى الهيئة تحت قدميه ، وقال هو مستطرداً :

— هل ترى هذا الحقير ؟ .. إنه أحد المعتقلين هنا ، ولقد

نجح أمس في الفرار .. أو هكذا تصوّر ، فاختبأ داخل إحدى

سيارات التموين ، واخترق بواسطتها (الدائرة الجهنمية) ،

التي تحيط بالمعتقل ، ثم غادرها قرب النهر ، متصوّراً أنه قد

نجح ، ولكننا ألقينا القبض عليه هناك ، وأعدناه .

والتفت إلى السجين الزرى الهيئة ، مستطرداً في صرامة :

— أليس كذلك يا (كوريل) ؟

رمقه (أندريه) بنظرة ساحطة مُحَنِّقة ، قبل أن يقول في
صرامة :

— اطمئن أيها المصري .. ستحصل عليها بالتأكيد .

قال (أدهم) في سخرية :

— هَلُمَّ بها إذن ، فقد سئمت رؤيتك .

أطلق (كال) ضحكة ساخرة ، أسرع يكتمها مع نظرة

(أندريه) الصارمة ، ومال نحو (أدهم) ، قائلاً :

— من الواضح أنك لا تهاب الموت ، وبأية وسيلة كان ،

يامستر (أدهم) ، ولكنك تحبُّ وطنك كثيراً .. أليس

كذلك ؟

تأمله (أدهم) لحظة ، ثم ابتسم في سخرية ، قائلاً :

— ذغني أحْمَنُ أوْلاً مِنْ أَنْتِ .. جسد أشبه بفرس النهر ،

ووجه أشبه بالخنزير ، ورائحة كمستنقع بدائي .. إنك الحاكم

الوغد (فرديناند كال) بالتأكيد .

لم تغضب كلماته (كال) ، أو هكذا بدا ، حينما ابتسم هذا

الأخير ، وقال :

— على الرغم من رفضي لأسلوبك في الاستنتاج ، إلا أنني

بالفعل (فرديناند كال) .

غمغم السجين في مرارة :

— اذهب إلى الجحيم .

برقت عينا (أندريه) ببريق وحشي ، وهو يقول :

— لست أنا مَنْ سيذهب إلى الجحيم يا (كوريل) .. بل

أنت .

أشار بطرف عينه إلى رجاله ، فهوى أحدهم بكعب بندقيته

على مؤخرة عنق (كوريل) ، الذي جحظت عيناه ، وارتجف

جسده ، ثم هوى فاقد الوغي ، فأشار (أندريه) إلى رجاله ،

وقال وهو يختلس النظر إلى (أدهم) ، وكأنما يريد معرفة ردِّ

فعله :

— لُحِّدُوا ذلك الحقيير من هنا ، وانتظروا حتى يستعيد

وغيه ، ثم انزعوا أظفاره كلها ، واشتروا قدميه ، وأخيراً

اسلخوا جلده حياً .

حمل الرجل (كوريل) المسكين ، على حين ابتسم

(أندريه) في ثقة ، وهو يلتفت إلى (أدهم) ، قائلاً :

— أنت لا تحبُّ أن تلقى المصير ذاته .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) في ازدراء :

— لو أنها الوسيلة الوحيدة لتفادي رؤية وجهك القبيح ،

فأنا أرحب بها .

ومال نحو (أدهم) ، مستطرذا في سخرية :

— الذى سيحطم اقتصاد بلادك تمامًا ؟

غمغم (أدهم) فى غضب صارم :

— أتحدّاك ؟

أطلق (كال) ضحكة ساخرة عالية ، ورشف رشفة من كأسه ، ثم قال :

— الأمر لا يخضع للتحدّى يا مستر (أدهم) .. إنها لعبة اقتصادية ، مدروسة ومحسوبة بدقة بالغة .. لعبة قوامها مليارات الدولارات .

ثم عاد يميل نحوه ، مستطرذا :

— هل تعلم ماذا نطبع هنا ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

— أوراق النقد المصرية .

تراجع (كال) هاتفا فى مرح :

— رائع .. إنك تعلم ذلك .

ثم عاد يميل نحوه بغتة ، مردفاً :

— ماذا نفعل بها فى تصوّرك ؟

لم يُحز (أدهم) جواباً ، وهو يتطلّع إليه فى سخرية ، فهض (جال) من مقعده ، ولوّح بذراعيه على نحو مسرحى ، وهو يهتف :

— سأخبرك أنا .. إننا نطبع أوراق النقد الخاصة بكم ، على

نفس الورق المستخدم لذلك ، وبنفس الأحبار وأساليب

الطباعة ، أى أنها ستكون بالنسبة لكم أوراقاً سليمة تماماً ، من

المستحيل إدعاء أنها مزوّرة ، والخطوة التى تلى ذلك هى أن

تدخل تلك الأوراق إلى بلادك ، فتحقق بذلك هدفين رائعين :

أولهما : أننا سنشترى بها كميات هائلة من الدولارات ، ممّا

يرفع سعر الدولار ، فنخفض قيمة عملتكم بالتالى ، وثانياً :

ستعانون تضخّماً أشبه بالتخمة ، من كثرة الأوراق المالية

المطروحة ، بلا سند أو احتياطي مخزن ، ومجموع العاملين

سيؤدّى فى النهاية إلى نتيجة رائعة .

أطلق ضحكة مجلجلة ، قبل أن يردف فى جدل :

— سينهار اقتصادكم تمامًا .

غمغم (أدهم) فى مقت :

— يا لحقارتك !!

تجاهل (كال) العبارة تماماً ، وهو يقول :

— وعندئذ تبرز مجموعتنا الاقتصادية كالمقذ ، فنقرضكم

ما يقى اقتصادكم شرّ الانهيار ، بالدولارات التى سنجمعها من

أسواقكم بالطبع .. مع سعر فائدة مرتفع ، وبعض المميّزات ،

وتهديد بالاستمرار فى تحطيم الاقتصاد فى حالة الرفض .

٦ - الهروب ..

كانت تلك الركلة ، التي تلقاها (فرديناند كال) في وجهه ، والتي حطمت أنفه المتفطرس ، وألقت به مترين إلى الوراء ، وأسقطته بجسده البدين كجوال بطاطس مكتظ ، هي البداية ..

بداية المعركة ..

فلم تكد قدم (أدهم) تتراجع ، حتى قفز جسده كله في خفة مذهلة ، وارتفعت قدماه تركلان وجهي حارسين من رجال (أندريد) ، قبل أن يدور على عقبيه في سرعة رهيبية ، وتشم يمناه أسنان حارس ثالث ، وتحطم يسراه أنف رابع .. كل هذا في الثانية الأولى من المعركة ..

وفي الثانية التالية ، كان ثلاثة من الحراس الستة الباقين ، قد أدركوا أنهم يواجهون رجلاً غير عادي ، يحتاج منهم إلى يقظة تامة ، وإقدام فائق ، وعندما توصلت عقولهم إلى تلك النتيجة ، وأصدرت أوامرها إلى أصابعهم ، للضغط على أزرادة مدافعهم ، كان جسد (أدهم) يدور حول نفسه دورة رأسية خلفية ، ويلقى في قلوبهم رعباً وذهولاً جديدين ، قبل أن يهبط على قدميه

أطلق ضحكة ساخرة أخرى ، ثم مال نحو (أدهم) ، قائلاً في شماتة :

— ما رأيك في كل هذا يا مستر (أدهم) ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

— أتريد رأيي حقاً ؟

هتف (كال) في جذل :

— بالتأكيد .

- وفجأة ، وعلى الرغم من قُوَّات المدافع العشرة ، المصوَّبة إلى رأسه ، ارتفعت قدم (أدهم) ، لتركل أنف (كال) في قوَّة ، وهو يهتف في صرامة غاضبة :
- ها هو ذا ردَّى أيها الوغد .
- وكان من المستحيل منع المذبحة ..



خلف (أندريه) تماما ، ويطوق عنق هذا الأخير بساعده
الأيسر ، ثم يلتقط مسدسه من جرابه بيميناه ، ويجذب إبرته ،
وهو يلصق فوهته برأسه ، هاتفا :

— لن أطلب منكم الاستسلام ، فهذا يتوقف على ما إذا
كنتم تريدون جنرالكم الهزلي هذا أم لا .

تسمر الجميع في أماكنهم ، ولم ينبس أحدهم ببنت شفة ،
وهم يتطلعون إلى (أدهم) و (أندريه) ، باستثناء (كال) ،
الذي أمسك أنفه المحطّم ، هاتفا في ألم ، جعله أشبه بطفل صغير ،
سقط من فوق دراجته بغتة :

— أنفى .. لقد حطّم أنفى .

هتف (أندريه) في سخط :

— أتظن أنك ستجح في الفرار من هنا هكذا ؟

أجابه (أدهم) في سخرية :

— إلى حدّ ما .. وتذكّر أنني لن أخسر شيئا ، فالموت
العاجل أكثر رحمة من البقاء بين أيديكم .

عقد (أندريه) حاجبيه ، وهو يقول في غضب :

— دعني أخبرك إذن أن الفرار من هنا مستحيل ، فحتى

لو تجاوزت الأسلاك الشائكة المكهربة ، ورجال الحراسة ،

فسيكون من رابع المستحيلات أن تنجح في اختراق (الدائرة

الجهنمية) ، من المستنقعات والأحراش ، التي تحيط بنا ، دون
أن يصحبك دليل محنك ، قضى نصف عمره وسطها .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— ولكن هناك وسيلة مضمونة بالفعل .

تبادل الجميع نظرات الخيرة ، وغمغم (كال) ، وهو

يمسك أنفه المحطّم :

— أين ؟

أشار (أدهم) إلى الهليوكوبتر ، وارتسمت على شفّيه

ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

— هاهي ذى .

أوقف العقيد (مجدى) ، الملحق العسكرى ، سيّارته أمام

النهر ، والتفت إلى (منى) ، يسألها في اهتمام :

— أنت واثقة من أنكما قد عبّرثما النهر من هذه النقطة ؟

أجابته في اهتمام مماثل :

— تمام الثقة ، ولكننا لن نعبر من نفس النقطة بالتأكيد

فالجسر محطّم كما ترى ، وسنعبّر من الجسر القادم ، على بعد

كيلومترين من هنا .

أدار محرّك سيّارته ، واتجه نحو النقطة التي أشارت إليها ،
وهو يقول :

— لا بأس .. فلنراجع ما لدينا من أسلحة إذن .. مدفعا
آليان ، وستة قنابل يدوية ، وصندوق ذخيرة ، ومسدّسان ..
أهذا يكفي ؟

غمغمت :

— أعتقد ذلك .

ثم التفتت إليه ، تسألته في اهتمام :

— قل لي .. لماذا تفعل كل هذا ؟ .. لقد استبدلت بسيّارتك
الخاصّة ، أخرى من نوع (الجيب) ، لتصلح لاختراق
الأحراش ، ودفعت مبلغا ضخما لشراء تلك الأسلحة ، فما
دافعك إلى كل هذا ؟

صمت لحظات ، انعقد خلالها حاجباه في حزم وحسم ،
قبل أن يقول في هدوء .

— أنسيت أنني مصري؟! .. وأنه من الطبيعي أن يستيرني
كل ما يهدد أمن وسلامة وطني ؟
تأملته في إمعان ، ثم قالت :

— كلاً .. ليس هذا هو السبب الوحيد .



ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :
— ولكن هناك وسيلة مضمونة بالفعل ..

— الهليوكوبتر !؟

أجابه (أدهم) في سخرية ، وهو يشدد من ضغط ساعده
على عنقه :

— هل ترُوق لك ؟ .. إنها وسيلة طريفة للغاية ، فبواسطتها
يمكن عبور الأسلاك الشائكة ، مهما بلغ ارتفاعها ،
(الدائرة الجهنمية) ، مهما بلغ اتساعها ، أو بلغت
مساحتها .

تحشج صوت (أندريه) ، وهو يفمغم :

— ومن سيسمح لك ؟

أجابه (أدهم) في صوت أكثر سخرية :

— أنت بالطبع .

ثم اكتسى صوته بالصرامة ، وهو يواجه رجاله ،
مستطرذا :

— هيّا أيها الأوغاد الظرفاء .. سأصحب زعيمكم إلى
الهليوكوبتر ، وسيكون عليكم أن تنقلوا زميلي إليها ، حتى
يستعيد وعيّه ، ثم تبتعدون بمسافة كافية ، حتى نقلع ، وأعدكم
أن أرسل لكم بطاقات لطيفة ، من المكان الذي سنمضي إجازتنا
فيه .

عقد (كال) حاجبيه في توثر ، وهتف (أندريه) في سخط :

عاد إلى صمته بعض الوقت ، حتى بلغت السيّارة الجسر
الآخر ، فراح يعبره في حذر ، حتى انتقلا إلى الجانب الآخر ،
فأوقف السيّارة ، والتفت إليها قائلاً :

— هناك سبب آخر بالتأكيد .

سألته في اهتمام :

— ماهو ؟

شرد ببصره لحظات ، قبل أن يقول :

— إننى أدين لـ (أدهم صبرى) ..

هتفت :

— بماذا ؟

ارتسمت على شفّيه ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— بما يستحق أن أفعل من أجله كل هذا .

وعاد يشرد ببصره ، مستطرذا :

— وبما يستحق أن أتحرق من أجله الجحيم نفسه ..

وقع قول (أدهم) في نفس (أندريه) كالصاعقة ،
فشحّب وجهه ، أو ازداد شحوبًا على وجه الدقّة ، وهو

يفمغم :

— مستحيل !.. لن أوافق على ذلك أبدا .

جذب (أدهم) إبرة مسدس (أندريه) ، وبدا صوته شديد الحزم والصرامة ، يجمد له الدم في العروق ، وهو يقول :
— كما يخلو لك أيها الجنرال .. إنني أمنحك نصف دقيقة لاتخاذ قرارك ، وبعدها لا تلومن إلا نفسك ، فستخترق رصاصتي مُحك .. لو أنك تملك واحدا .. هيا .. أسرع ..
إنني لا أتميز بالصبر .

تنهد العقيد (مجدى) فى عمق ، وهو يقول :

— عجبًا !!.. هذه الأحرار تبدو متشابهة للغاية !
فردت (منى) أمامها خريطة المكان ، وأشارت إلى دائرة رسمها (مونو) ، وقالت :

— المفروض أن هذا هو موضع المعتقل .

ألقى (مجدى) نظرة سريعة على الخريطة ، وقال :
— هذا صحيح .

ثم تطلع إلى البوصلة ، مستطرذا :

— وهذا يعنى أن نتجه إلى الشمال الشرقى .

قال هذا ، وعاد إلى موضعه ، خلف عجلة القيادة ، وانطلق بالسيارة ، فسألته (منى) فى قلق :

٦٦

— أتظن أننا سننجح فى الوصول إلى المعتقل ؟

ابتسم ، وهو يهتف :

— بالتأكيد .

ثم اكتسى وجهه بلمحة صارمة ، وهو يُردف :

— إن الوصول إلى هناك من أبسط الأمور ، ولكن المشكلة تكمن فى العودة .

عاد إلى صمته لحظة أخرى ، ثم أزدف فى حزم :

— العودة على قيد الحياة .

وقف رجال (أندريه) يتميرونه غيظًا ، وهم يتطلعون إلى (أدهم) ، الذى استقر على مقعد قيادة الهليكوبتر ، وأدار محركها ، وإلى جواره يجلس (أندريه) محتقن الوجه غضبًا ، وفوهة مسدسه ، الذى يمسك به (أدهم) ملتصقة برأسه ، على حين استلقى (خالد) على المقعد الخلفى فاقد الوعي ..
وقال (أندريه) فى حدة :

— لن يمكنك الفرار حتى النهاية ، فحتى لو عبرت (الدائرة الجهنمية) بالهليكوبتر ، وبلغت المدينة ، فستجد

٦٧

نصف رجال الأمن هناك بانتظارك ، فد (كال) هو حاكم
المدينة ، وأنا رئيس جيشها وأمنها ، بعد مصرع (هنرى) .
ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :
— لا تقلق نفسك بشأى .. إن وجودك معى يكفل لى
الحماية اللازمة .

ازداد احتقان وجه (أندريه) ، وضَمَّ شفثيه فى خنق
وغضب ، على حين بدأ (أدهم) يستعدُّ للإقلاع ..
وفجأة ، استعاد (خالد) ونجته ..
استعاده فتأوه ، واعتدل ، وغمغم :
— أين أنا ؟

ثم امتدَّت يده على نحو غريزى ، فأمسكت معصم
(أدهم) ، وأبعدت قُوَّة المسدس عن رأس (أندريه) ، وهو
يستطرد :

— ماذا تفعل هنا ؟

وكانت فرصة نادرة لرجل حرب محنك مثل (أندريه) ؛
لذا فقد انحنى فجأة ، فور ابتعاد قُوَّة المسدس عن رأسه ، وقفز
خارج الهليوكوبتر ، صارخاً :
— أطلقوا النار يا رجال .. أطلقوا النار .

هتف (أدهم) فى خنق :
— اللعنة :

وبراعة منقطعة النظر ، جذب عصا القيادة ، وارتفع
بأهليوكوبتر فى إقلاع شديد الصعوبة والبراعة والتعقيد ،
تلاحقه رصاصات كالمطر ، وهو يهتف :

— إلى الجحيم أيها الأوغاد ، سنعبُر (الدائرة الجهنمية)
برغم أنوفكم .

ولكن (أندريه) فى أسفل راح يصرخ :
— البازوكا .. أطلقوا عليه البازوكا .

لم يسمع (أدهم) ذلك الهتاف ، وهو يناور طلقات
الرصاص فى براعة ، ويندفع نحو حاجز الأسلاك الشائكة ..
وعلى الأرض ، هروول عُدَّة رجال ، يحملون على أكتافهم
مدافع البازوكا الأسطوانية ، نحو مواقعهم ، وصوب كل منهم
مدفعه نحو الهليوكوبتر ، وصراخ (أندريه) يتعالى :

— لا تبالوا بأهليوكوبتر ، دَمِّروها .. انسفوها نسفاً ..
المهم أن تُوقِعُوا بذلك الشيطان .. دَمِّروها .

انطلقت الدفعة الأولى من القذائف نحو الهليوكوبتر ، التى
انحرفت فى مهارة مذهلة ، وهتف (أدهم) من داخلها :

٧ — الدائرة الجهنمية ..

كانت الإصابة مباشرة تماماً ..
ولقد أطاحت بذيل الهليوكوبتر كله ، فقدت الهليوكوبتر
توازنها ، وراحت تدور حول نفسها كطبق طائر أصابه مسٌّ
من الجنون ..

وخارج الهليوكوبتر وداخلها ، كانت المشاعر متباينة
للغاية ..

لقد صرخ (أندريه) ، على أرض معتقله ، بفرح جنونى ،
وهتف وهو يلوح بذراعيه فى هياج وانفعال :

— لقد أصبناه .. لقد أصبنا ذلك الشيطان المصرى .
هتف (كال) ، وجسده البدين كله يهتز من فرط
الانفعال :

— أَلْحِقُوا الإصَابَةَ بِأُخْرَى ، حتى نضمن الفوز .
صاح أحد رجال (أندريه) :

— لقد أصبح هذا مستحيلاً .. إنها تباعد فى سرعة ،
وستهوى وسط الأحرار بالتأكيد .

امتلاً وجه (أندريه) النحيل بابتسامة ضخمة ، وهو
يقول :

— اطمئن يا عزيزى (كال) ، فبدون الهليوكوبتر ، لا أمل
لهما فى النجاة .

— يا إلهى !!.. لقد تحوّلت إلى حرب حقيقية
يا (خالد) .. إنهم يمطروننا بالقنابل .

نفض (خالد) ذوازه وغيوبته فى سرعة ، وهتف فى توثر :
— أَلَدَيْكَ أَسْلِحَةٌ فى الهليوكوبتر ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :
— مدفع آلى ومسدس فحسب ، ومن غير المنطقى أن

نواجه بهما ال.....
لم يتم عبارته ..

لم يتمها أبداً ..
فقبل أن تكتمل ، أصابت إحدى القذائف الهليوكوبتر ،

وَدَوَّى الانفجار ..
دَوَّى فى سماء المعركة ..



وتألفت عيناه ببريق وحشى، وهو يستطرد :

— لقد انتصرنا كالمعتاد يا صديقى .

أما داخل الطائرة ، فقد راح (أدهم) يذل جهدا رهيبا للسيطرة على مسار الهليوكوبتر ، التى فقدت ذيلها ، ووسيلة توجيهها الوحيدة ، وهتف (خالد) ، وهو يتشبث بمقعده :

— يا إلهى !!.. لقد انتهينا .

هتف به (أدهم) فى حزم :

— ليس بعد .. إننى أكره سماع هذه الكلمة ، حتى ولو كان احتمال النجاة لا يتجاوز النصف فى المائة .

تطلع (خالد) إلى الأشجار المتشابكة الكثيفة ، التى يهويان نحوها فى عنف ، وغمغم فى استسلام :

— ما كنت لأنطقها يا سيادة المقدم ، لو أن الاحتمال يصل إلى هذا النصف فى المائة .

تطلع (أدهم) بذوره إلى الأشجار ، وعقد حاجبيه فى شدة ..

ثم ارتطمت الهليوكوبتر بقمم الأشجار ، و

وانفجرت ..

تهللت أسارير (كال) ، وأندريه ورجاله ، حينما شاهدوا السحابة المتخلفة عن انفجار الهليوكوبتر من بعيد ، وسمعوا دوى الانفجار القوى ، وتنهَّد (أندريه) فى ارتياح ، وهو يقول :

— ألم أقل لك يا عزيزى (كال) ؟ .. لا أحد يفتر من هنا حيا أبدا .

هتف (كال) فى سعادة ومرح :

— بالتأكيد يا عزيزى (أندريه) .

ثم مال نحوه ، مستطرذا :

— الانفعال الشديد يُورثنى شعورا بالجفاف فى حلقى .. ألا تشعر بالمثل ؟

ابتسم (أندريه) فى برود ، وقال :

— بلى .. إن لدى مفاجأة فى مكتبى .. زجاجة شيمانيا

(لوران) .. من إنتاج عام ألف وتسعمائة .

وضع (كال) راحته اليمنى على قلبه ، ولوح بذراعه اليسرى على نحو مسرحى ، وهو يسبل عينيه ، هاتفا :

— يا للشيطان ! .. شحة من الجنة فى قلب الجحيم .. عجبا !

سار الاثنان إلى فيلا (أندريه) ، الذى أخرج زجاجة

الشمبانيا ، وصب قليلاً من سائلها الذهبي في كأسين ، ناول
إحداهما ل (كال) ، الذي ارتشف رشفة منها في تلهذذ ، ثم
ابتسم قائلاً :

— ها نحن أولاء قد قضينا على الأسطورة ، التي كان يرتجف
لها (هنرى) .

ابتسم (أندريه) ابتسامة باردة ، ورفع الكأس إلى شفثيه ،
و (كال) يستطرد في سخرية :

— لقد كان (هنرى) يروى الأساطير عن ذلك المصرى ،
حتى أنه يُقسم إن أجهزة المخبرات في العالم أجمع تخشاه ، وإن
كلها منها قد تصوّر يوماً أنه قد نجح في قتله ، ثم فوجئ به على
قيد الحياة ، و

تسمرت يد (أندريه) فجأة ، والتفت إلى (كال) في
حركة حادة ، جعلت هذا الأخير يتر عبارته ، ويسأله في قلق :

— ماذا حدث ؟
انعقد حاجبا (أندريه) في صرامة ، وهو يردّد مقطع
(كال) الأخير :

— كل منها قد تصوّر يوماً أنه قد نجح في قتله ، ثم فوجئ
به على قيد الحياة !؟

غمغم (كال) في توثر :

— هذا ما كان يردده (هنرى) .

وضع (أندريه) كأسه على المائدة ، وهو يقول في صرامة :

— وهذا ما ينبغي أن نتحاشاه .

ثم ضغط زرّ جهاز اتصال فوق مكتبه ، وقال في حزم :

— (دى مال) .. اسمعنى جيّداً .. اجمع عشرين رجلاً
مسلّحاً ، فسنقوم بحملة استكشاف في الأحرار .

وأبهى الاتصال ، وهو يرفع عينيه إلى (كال) ، مردفاً بمزيد
من الحزم :

— الوسيلة الوحيدة للتأكد من موت العقرب ، هي أن
تشاهد جثتها المسحوقة يا عزيزى (كال) .. هذه هي سنتى في
الحياة .

كان الفارق بين الموت والحياة ، في تلك التجربة الرهيبة ،
هو ثانية واحدة ..

ثانية انتزع خلالها (أدهم) نفسه من مقعده ، وانتزع
(خالد) من مكانه ، ثم قفز به خارج الهليوكوبتر ، قبل
ارتطامها بقمم الأشجار ..

وفوق رأسيهما ، وقبل أن يبلغا الأرض العشيّة ، ارتطمت
الهليوكوبتر بالقمم ، وانفجرت ..



نهض (أدهم) في سرعة ، متجاهلاً الآلام التي تملأ جسده ،
وراح يفحص كاحل (خالد) الأيسر في اهتمام ..

ودفعهما الانفجار ليرتطما بالأرض في قوّة ، وظلاً في
مكائهما لحظات ، حتى هدأ الموقف كله ، فتأوّه (خالد) في
ألم ، وغمغم :

— يبدو أن كاحلي قد التوى .

نهض (أدهم) في سرعة ، متجاهلاً الآلام التي تملأ
جسده ، وراح يفحص كاحل (خالد) الأيسر في اهتمام ، ثم
زفر في قوّة ، ومطّ شفتيه ، مغمغماً في أسف :

— هذا صحيح .. لقد التوى كاحلك .

غمغم (خالد) في مرارة :

— هذا ما كان ينقصنا .

خلع (أدهم) قميصه ، وراح يمزّقه إلى شرائح رفيعة ، وهو
يقول في هدوء :

— على العكس .. إننا في خير حال ، بالمقارنة إلى كل
ما تعرّضنا له من مخاطر ، فلقد غادرنا المعتقل الرهيب ، وتجاوزنا
أسواره المكهربة ، ونجونا من سقوط الهليوكوبتر وانفجارها ، ولم
تعدّ خسائرنا التواء كاحلك .. أليس هذا جيّداً ؟

تأوّه (خالد) في ألم ، حينما بدأ (أدهم) يحيط كاحله
بالشرائح الرفيعة في مهارة وإحكام ، ثم قال :

— كنت سأوافقك على رأيك هذا ، لو أننا قد بلغنا شاطئ
النجاة ياسيادة المقدم ، ولكن ..

تأوه مرة أخرى في ألم ، قبل أن يستطرد :

— ولكننا غادرنا المعتقل ، لنسقط وسط (الدائرة
الجهنمية) ، التي تحيط به ، وهذا يعني أننا قد انتقلنا من سعي
إلى جحيم .

عقد (أدهم) أطراف الشرائح في قوة ، وهو يغمغم :

— ليس إلى هذا الحد ..

ثم اعتدل ، وسأله في هدوء :

— كيف حال الألم ؟

ارتسمت على شفתי (خالد) ابتسامة شاحبة باهتة ، وهو

يغمغم :

— لقد تضائل كثيرًا .

ثم عاد يستطرد في قلق :

— هل تدرك معنى وجودنا وسط تلك (الدائرة الجهنمية)

ياسيادة المقدم ؟

أجابه (أدهم) ، وهو ينهض في هدوء :

— نعم .. إن ذلك يعني أنه علينا أن نبذل المزيد من الجهد .

هتف (خالد) :

— بل يعني أنه علينا أن نواجه عددًا لا حصر له من المخاطر

المجهولة .

قال (أدهم) في حزم :

— فليكن .. لكل مهنة مخاطرها .

ثم مال نحو (خالد) ، مستطردًا في صرامة :

— اسمع أيها الرائد .. إنك رجل مخبرات مصرى ، ومن

الصفات الواجب توافرها ، في رجال المخبرات المصرية ،

الشجاعة ، والصبر ، والعناد ، والإصرار ، والقدرة على

التكيف مع الظروف المحيطة ، أيًا كانت صعوبتها .. إننا هنا

وسط أحرار نجهلها ، وتحيط بنا مخاطر لا حصر لها ، ولقد فقدنا

كل أسلحتنا تقريبًا ، مع انفجار الهليوكوبتر ، ولم نعد نملك سوى

هذا المسدس ، وخزائنه التي تحوى أربع رصاصات فحسب ،

ولكن من الضروري أن نتجاهل كل هذا ، ونمضي في طريقنا ،

ونبذل أقصى جهدنا للوصول إلى شاطئ النجاة ، مهما بلغت

العقبات .

أطرق (خالد) برأسه ، وهو يغمغم :

— أنت على حق ياسيادة المقدم .

أدار (أدهم) عينيه في سرعة إلى حيث يتطلّع (خالد) ،
ورأى ما رآه هذا الأخير ..
رأى نمرًا ضخماً ، يتطلّع إليهما بعينين ملوّهما الوحشية
والشراسة ..
نمرًا يحمل توقيع (الدائرة الجهنمية) ..



ثم عاد يرفع إليه رأسه ، مستطرذا :
- ولكن هل تعرف الاتجاه ، الذي ينبغي أن نتخذه ؟
اعتدل (أدهم) ، وتلفت حوله ، قائلاً في هدوء :
- المعتقل يقع في الشمال الشرقي ، وهذا يعني أننا لو اتجهنا
إلى الجنوب الغربي ، فسنبعد عنه بالتأكيد .
غمغم (خالد) ، وهو ينهض في صعوبة :
- أو نتجه إليه ، لو أننا قد سقطنا على الجانب الآخر له .
هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :
- كلاً .. لقد سقطنا على الجانب الغربي له ، فلقد كانت
الشمس في وجوهنا ، وهي تغرب .
قال (خالد) ، وهو يستند إلى كتف (أدهم) :
- بمناسبة غروب الشمس ، أظن أنه من الأفضل أن نسرع
قليلاً ، فبعد لحظات ، سيطبق الظلام على الأحراش تمامًا ،
وسيصير اختراقها أشبه باختراق لوح سميك من الصلب ،
بواسطة إبرة صدئة ، و
بتر عبارته بفتة ، وهو يهتف :
- يا إلهي !

اتجهت يد (أدهم) نحو مسدسه في بطاء ، وهو يهمس في حزم :

— اثبت يا (خالد) .. حاول ألا تصدر أية حركة مريية ..
إنه يحاول دراسة قوتنا أولاً ، قبل أن ينقض علينا .
ازدرد (خالد) لعابه ، وهو يغمغم :

— سأحاول ..
تركزت عينا الثمر الوحشيتان على يد (أدهم) ، وهي تنجه إلى مسدسه ، ثم زجر الثمر في شراسة ، فغمغم (خالد) :
— أسرع يا سيادة المقدم .. أسرع .. إنه ..
وفجأة ، تعثر (خالد) ..

تعثر كاحله المتوى ، فأسقطه أرضاً في حركة مباغته ..
وكمحاولة منه لتفادي السقوط ، تشبث (خالد) بقبضة (أدهم) ، التي تمسك المسدس ، وجذبه معه في سقطته ..
وكانت الحركة حادة ومباغته ، على نحو آثار لثارة الثمر ،
فوثب نحوهما ، وهو يطلق زججرة مخيفة ..
زججرة الموت

أشعل (فرديناند كال) سيجاره الفاخر ، ونفث دخانه في عمق ، وهو يسير إلى جوار (أندريه) ، وسط الأحرار ،
وحولهما عشرون رجلاً من رجال هذا الأخير ، الذي غمغم في صرامة :

— رائحة سيجارك ترعجنى يا (كال) ..
ابتسم (كال) في سخريه ، وسحب نفساً عميقاً من سيجاره ، وعاد ينفثه في الهواء ، قائلاً :
— إنه يحجب عني بعضاً من رائحة أحراراك الغفنة يا عزيزي (أندريه) .

غمغم (أندريه) في صرامة :
— ينبغي أن تعتادها .

أطلق (فرديناند كال) ضحكة ساخرة ، وقال :

— لماذا يا عزيزي (أندريه) ؟ .. أتوى اعتقالي هنا ..
حذار يا عزيزي الجنرال ، إننى — طبقاً لمنصبي — أراسك ،
فأنا حاكم المدينة ، ومن المفروض أن أكون الآن معكما ، وسط
الرياش والطنافس ، ولست هنا ، ضمن حملة حقاء ، تجاز أسوأ
أحرار في العالم ، بجكا عن جثة رجل .

عقد (أندريه) حاجبيه في حزم ، قائلاً :

— من الضروري التأكد من مصرعه ، لإغلاق ملفه
نهائياً .

ثم زَمَقَهُ بنظرة حازمة صارمة ، وهو يستطرد :
— ثم إنك قد تسرّعت ، وأخبرته بكل شيء ؛ ولذلك بات
من الضروري التأكد من مصرعه ، حتى لا

بتر عبارته فجأة ، مع دوى رصاصة ، بدا صوتها شديد
الوضوح وسط الأحرار ، مما جمّد الجميع في أماكنهم لحظة ،
قبل أن يتدفع (أندريه) نحو أحد رجاله ، ويسأله في حزم :
— أهي إحدى رصاصات رجالنا يا (دى مال) ؟

هزّ (دى مال) رأسه ، وهو يقول في ثقة :
— السلاح المستخدم هو نفس نوع أسلحتنا يا جنرال ..
مسدّس من طراز (موريس) ، ولكن الرصاصة لم تنطلق من
معسكرنا ، بل من هناك .

أشار بسبّابته نحو الجنوب الغربي ، فعقد (أندريه) حاجبيه
الكثين ، وهو يقول في حزم :
— متى يمكننا بلوغ نفس النقطة ؟
صمت (دى مال) لحظة ، ثم أجاب :
— بعد ساعة واحدة ياسيدى الجنرال .

شدّ (أندريه) قامته ، وهو يقول :
— حسناً .. هيّا بنا .

ثم التفت إلى (كال) ، الذى بدا شاحباً ، وقال له في
صرامة :

— يبدو أن شيطانك المصرى يشبه كثيراً أساطير (هنرى)
يا (كال) .

وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يُردّف في حزم :
— ولكن الأسطورة ستتهى هنا .. في (الدائرة
الجهنمية) ..

* *

كانت طلقة مُحكّمة بحق ..

لقد جذب (خالد) معصم (أدهم) ، وجذب هذا
الأخير معه في سقطته ، ووثب التمر ليفترسهما معاً ، لولا سرعة
الاستجابة المذهلة ، التى يتمتع بها (رجل المستحيل) ..

لقد نقل (أدهم) المسدّس ، في سرعة فائقة ، من يمينه إلى
يسراه ، وأطلق رصاصة واحدة نحو النهر ، اخترقت جمجمة هذا
الأخير ، قبل لحظة واحدة من وصوله إليهما ..

وسقط التمر بجسده الضخم فوق (أدهم) ..

سقط جثة هامدة ، ولكن هذا لم يمنع ثقل وزنه من أن يجثم
على أنفاس (أدهم) ، الذي شعر بثقل هائل على ضلوعه ،
فجمع كل قوته ، ودفع الثمر عن صدره ، ونهض يلهث في
تعب ، فهتف به (خالد) في خجل :

— حمدا لله ياسيادة المقدم .. لقد كدت أنا أتسبب في
مصرع كلينا ، لولا مهارتك الفائقة .

غمغم (أدهم) في حسم :

— لولا إرادة الله (عز وجل) يا (خالد) .

ومد يده إليه ، يعاونه على النهوض ، مستطرذا :

— هيا يا (خالد) .. لقد صار من الضروري أن نبتعد
بأقصى سرعة ، فلا ريب أن الرصاصة قد كشفت أمرنا
وموقعنا .

نهض (خالد) ، وهو يغمغم :

— أنتظن أنهم سيعمدون إلى البحث عنا ، ومطاردتنا ؟

أوما (أدهم) برأسه إيجابا ، وهو يقول :

— بالتأكيد .. لقد صرنا نعلم سرهم ، ولن يسمحوا لنا
بالفرار به أبدا .

سأله (خالد) في اهتمام :



لقد نقل (أدهم) المسدس ، في سرعة فائقة ، من يمينه إلى يسراه ،
وأطلق رصاصة واحدة نحو الثمر ، اخترقت جمجمة هذا الأخير ..

— وهل تظنُّ أننا سننجو ؟

عقد (أدهم) حاجيه ، وقال في حزم :

— هذا يتوقَّف على مشيئة المولى (عزَّ وجلَّ)

يا (خالد) .. المهم أن نبذل أقصى ما بوسعنا .

وأمسك بوسطه ، مستطرِّداً :

— هيَّا .. اعتمد على كفتي ، ودعنا نبتعد عن هنا .

سارا عبَّر الأحرار الكثيفة في بطاء ، وكل خطوة تستلزم

منهما مجهوداً ضخماً ، بسبب كثافة الأحرار وتشابكها ،

وكاحل (خالد) الملتوى ، حتى شعر (خالد) باليأس ، بعد

أن وجد أنهما لم يقطعا سوى كيلومتر واحد ، خلال نصف ساعة

كاملة ، فتخلَّى عن كتف (أدهم) ، وألقى جسده أرضاً ،

مغمغماً في إحباط :

— مُحالٌ ياسيادة المقدم .. لن تنجح معي أبداً .

توقَّف (أدهم) ، وهو يقول في حزم :

— سننجح معاً ، أو نفشل معاً .

ابتسم (خالد) ابتسامة مريرة ، وهو يقول :

— إصرارك على اصطحابي سيجعل الهزيمة أمراً محتملاً ،

فكاحل متورِّم للغاية ، ويعجز عن حمل عشرة أمتار .

أجابه (أدهم) في صرامة :

— سأحملك إذا مالزم الأمر ، ولكنني لن أنصرف

وحدى .

زفر (خالد) في قوَّة ، وقال :

— هذا يناقِ المنطق والعقل ياسيادة المقدم .

أجابه (أدهم) في إصرار وعناد :

— فليكن .. إن آخر ما أصرَّ على الحفاظ عليه هو المنطق

والعقل ..

ثم عادت ابتسامته الساخرة إلى شفثيه ، وهو يستطرد :

— والحياة ..

فحص (دى مال) حطام الهليوكوبتر ، وجثَّة الثَّمر ، في

عناية فائقة ، ثم قال في لهجة لا تحمل الشك :

— لقد نجوا ياسيِّدى ، وأصيب أحدهما بالتواء في كاحله ،

ولقد سارا في ذلك الاتجاه .. إلى الجنوب الغربي .

هتف (كال) في دهشة :

— كيف يعلم كل هذا ؟ .. أهو قارئ غيب ؟

أجابه (أندريه) في صرامة :

— بل قارئ آثار .. إنه أبرع دليل ومقنن للأثر في آسيا كلها .

ثم التفت إلى (دى مال) ، ليسأله في حزم :

— أنتنهما قد ابتعدا كثيرا يا (دى مال) ؟

تطلع (دى مال) إلى آثار الأقدام في إمعان ، ثم أجاب في هدوء :

— لست أعتقد ذلك يا سيدي ، فالعواء كاحل أحدهما

يجعله يعتمد على الآخر ، والاتجاه الذي اتخذاه يقودهما إلى منطقة

أحراش كثيفة للغاية ، وهذا يعني أنهما سيسيران في بطاء

شديد .

سأله (أندريه) في اهتمام :

— أيمكننا أن نلحق بهما ؟

أوما (دى مال) برأسه إيجابا ، وقال :

— نعم .. بعد نصف ساعة فقط .

ثم اتجه نحو الأحراش ، وعيناه تبرقان ببريق الفوز ..

هت (خالد) في شدة ، من فرط الجهد الذي بذله ،

لاحتمال آلام كاحله ، وهو يخترق الأحراش ، معتمدا على كتف

(أدهم) ، وقال في توثر :

٩٠

— ياله من موقف سخيف !! لقد صيرت أشبه بطفل يحتاج إلى رعاية .

ابتسم (أدهم) في إشفاق ، وهو يقول :

— كل منا يمرُّ حتماً بمرحلة مشابهة يا صديقي .

توقفا دفعة واحدة ، حينما رأيا أمامهما منطقة ضخمة ، تبرز

منها أعواد الغاب القوية ، فهتف (أدهم) في ارتياح :

— أسلحة .

سأله (خالد) في دهشة :

— أية أسلحة تلك ؟

ابتسم (أدهم) ، وعاونه على الجلوس ، وهو يقول :

— تلك الأعواد يا صديقي .. إنها أول أسلحة عرفها

الإنسان .. فجزرها حاد مدبب ، ويكفي أن تقتلعها من

الأرض ، لتمتلك رُمحا قويا .

ابتسم (خالد) ابتسامة شاحبة ، وهو يعتدل في مجلسه ،

ويفرد أمامه ساقه المتورمة ، مغمغما :

— يبدو أنك واسع الثقافة يا سيادة المقدم .

هز (أدهم) كتفيه ، واتجه نحو أعواد الغاب ، قائلاً :

— إنني أعشق القراءة يا صديقي ، ومن الطبيعي أن

— ماذا حدث ؟

أجابه (أدهم) في حزم :

— اصمت يا (خالد) .. اصمت ولا تنطق بحرف واحد .

تمم (خالد) في توثر :

— هل يتبعنا هؤلاء الأوغاد ؟

هتف به (أدهم) في صرامة :

— قُلت لك اصمت .

ثم ألقى العود نحوه ..

ورأى (خالد) تلك الحربة البدائية تتجه إليه ..

إلى رأسه مباشرة ..



أحصل من خلالها على كم جيد من الثقافة والمعلومات العامة .

سأله (خالد) ، وهو يراقبه في إعجاب :

— ومتى تجد الوقت الكافي للقراءة يا سيادة المقدم ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو ينتزع أحد أعواد الغاب في

قوة :

— كل وقت يصلح للقراءة يا (خالد) .

وراح ينظف جذر العود في سرعة ، وهو يستطرد :

— في أثناء السفر في الطائرات ، أو قبل النوم ، أو في

الإجازات .

ضحك (خالد) ، وهو يقول :

— الإجازات ؟ هل تحصل على إجازات يا سيادة المقدم ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— بالتأكيد ، ولكن من العجيب أن إجازاتي كلها تتحوّل

إلى حومات قتال ، و

بتر عبارته فجأة ، عندما استدار نحو (خالد) ، وانعقد

حاجباه في شدة ، على نحو ارتجفت له كل عضلات (خالد) ،

وهو يهتف في توثر بالغ :

كان للعود صرير مخيف ، وهو يشقُّ الهواء نحو رأس
(خالد) ، الذي تجمَّد في مكانه من فرط الدُّهول ، وأغلق
عينيه في قوَّة ، حينما ارتطم العود بجذع الشجرة التي يستند إليها ،
على قيد ستيمرتات قليلة من قمة رأسه ..
ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يفتح (خالد) عينيه
في دُهول ، ويتطلَّع إلى (أدهم) في خيرة ، ثم يدير عينيه ورأسه
إلى الخلف ..

إلى حيث انغرس الرُّمح ..

وتراجع (خالد) في دُعر ودُهول ...

تراجع حينما رأى ما أصابه الرُّمح ...

لقد رأى الرُّمح البدائي منغرسًا في رأس ثعبان ضخيم ، كان

ينحدر على جذع الشجرة في بظء متجهًا إلى رأسه ..

ومرَّة أخرى أعاد (خالد) عينيه إلى (أدهم) في دُهول ،

وغمغم :

— يا إلهي !!... كيف نجحت في إصابته بهذه الدُّقَّة من

موضعك ؟



ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يفتح (خالد) عينيه في دُهول ،
ويتطلَّع إلى (أدهم) في خيرة ، ثم يدير عينيه ورأسه إلى الخلف ..

اقرب منه (أدهم) ، وانتزع الرُّمح من رأس الثعبان ، وهو يقول في هدوء :

— لقد كنت أمارس لعبة رمي الرُّمح منذ حدثتني .
هتف (خالد) :

— هكذا .. بكل بساطة .. هل؟

قاطعته (أدهم) فجأة بإشارة حاسمة ، وهو يرهف سمعه ، ويعقد حاجبيه في توثر ، فهمس (خالد) في انفعال :

— ماذا هناك هذه المرة ؟

أجابه (أدهم) في همس :

— إنهم يتبعوننا .

ثم عاونه على النهوض في سرعة ، وهو يستطرد في حزم :

— هيا بنا .. لا بُدَّ أن نبتعد بأقصى سرعة ، فهم يربُّون على

العشرة رجال ، ولست أشك في أنهم مسلَّحون .

غمغم (خالد) :

— يا إلهي !!

وراح ييدل أقصى جهده ، للتغلب على آلام كاحله ،

والإسراع للابتعاد مع (أدهم) ، إلا أن آلامه كانت شديدة

ل للغاية ، حتى أنه هتف في يأس :

— كلاً .. لن يمكنني الاستمرار .

صاح به (أدهم) :

— حاول يا (خالد) .. سنخسر كل شيء ، لو أننا وقعنا في أيديهم .

هتف به (خالد) :

— اتركني إذن يا سيادة المقدم .. فرصتك الوحيدة في النجاة تتوقَّف على التخلِّي عني .

قال (أدهم) في حزم :

— مستحيل !

صاح (خالد) في خنق :

— لماذا ؟

أجابه (أدهم) في صرامة :

— لأنني وعدت والدك أن أعود بك .

أمسك (خالد) ذراعه في قوَّة ، وهو يهتف في استنكار :

— والدي ؟!

ثم اندفع يستطرد في انفعال :

— إنني أرفض أن تضخِّي بنفسك من أجل ، مجرد أنني ابن

مدير المخابرات يا سيادة المقدم .. إنني رجل مخابرات ، وينبغي

أن تتعامل معي بهذا الاعتبار وحده .

عقد (أدهم) حاجيه ، وعاد يحنه على مواصلة السير ،
وهو يقول في حزم :

— هذا ما أفعله بالفعل .

ولكن (خالد) توقّف في صلابه ، وهو يقول في حزم
مماثل :

— اتركنى إذن .

التفت إليه (أدهم) في جدّة ، ولكن (خالد) استطرد
في عناد :

— اسمع يا سيادة المقدم .. المشكلة الآن ليس أنا ، أو
نجاتي .. المشكلة ، هي اقتصاد (مصر) كله ، وهذا يستحق
أن تضخني بي ، وبكل ما لديك ، لتربحة .. اتركنى يا سيادة
المقدم .. اتركنى لينجو اقتصاد (مصر) كله .

صمت (أدهم) لحظة ، وهو يتطلّع إلى عيني (خالد) ،
ثم قال في صرامة :

— كلاً يا (خالد) .. هناك حلّ ثالث .

غمغم (خالد) في مزيج من الدهشة والاستكار :

— حلّ ثالث !؟

— أو ما (أدهم) برأسه إيجاباً ، وهو يقول في حزم :

— نعم .. حلّ ثالث .

سأله (خالد) في توثر :

— أي حل هذا ؟

أجابه (أدهم) في صرامة :

— أن نتصدى لهم .

حدّق (خالد) في وجهه بدهشة ، وهو يهتف :

— ماذا تقول ؟

ثم أمسك كفتي (أدهم) مستطرداً في جدّة :

— أتفكر في التصدي لأكثر من عشرة رجال ، وأنت

لا تملك سوى مسدّس ، يحوى ثلاث رصاصات ؟

ابتسم (أدهم) في مرح ، وهو يرفع رُمح البدائي ، قائلاً :

— وماذا عن هذا ؟

هتف (خالد) في جدّة :

— هذا ليس وقت المزاح يا سيادة المقدم .

عادت ملامح (أدهم) إلى صرامتها ، وهو يقول :

— ومن قال إنني أمزح ؟

ثم عاد يلوح بالرُمح البدائي ، مستطرداً في حزم :

— سيكون هذا سلاحنا الأساسي ..

وارتفع بصره ، وهو يُرْدِف في صرامة :
— وسنحاصرهم .

* * *

انحنى (دى مال) يفحص أغصان الأشجار المهشمة ،
والأعشاب المكسورة ، ثم اعتدل قائلاً في هدوء :

— يبدو أننا نقرب منهم كثيراً ، فلم يمض على هذه الآثار
سوى عشر دقائق فحسب .

أوماً (أندريه) برأسه متفهّماً ، وقال في حزم :

— حسناً .. فليعدّ كل منكم سلاحه ، وليستعدّ للقتال .
ابتسم (كال) ، وقال في سخرية ، وهو ينفث دُخان

سيجاره الفاخر :

— لن يكون قتالاً بالمعنى المعروف .

وأطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد :

— بل مذبحة .

رمقه (أندريه) بنظرة ازدراء صارمة ، وهو يقول :

— لم يحن أوان الهدر بعد يا (كال) .

ابتسم (كال) في سخرية ، وهو يقول :

— حسناً يا لَوْح الثلج .. أخبرنى حينما يحين أوانه .

ثم عاد يطلق ضحكة ساخرة عالية ، وهو يستطرد :

— يا لها من مفارقة !!

استدار إليه (أندريه) في ضَجْر ، وهو يسأله :

— أية مفارقة ؟

ضحك (كال) ، وهو يقول :

— من المعروف عالمياً أن الإنجليز يمتازون بالبرود ، على حين

يحوز الفرنسيون شهرة واسعة في عالم المَرَح ، وعلى الرغم من

ذلك تجد وضعينا معكوسين ، فأنت بارد كلِّوح الثلج ، وأنا

أميل إلى المَرَح .

مطأً (أندريه) شفثيه في ازدراء ، وهو يقول في ضَجْر :

— يا لها من مُفارقة !!

عقد (كال) حاجبيه في حَنَق ، وهو يقول :

— ألا يروق لك شيء مما أقول أبداً يا جنرال ؟ .. اعلم إذن

أنه لولاى ما كان من الممكن أن

قاطعته (دى مال) ، وهو يقول في هدوء :

— هناك أمر مثير للريبة يا جنرال .

التفت إليه (أندريه) ، يسأله في اهتمام :

— أى أمر هذا ؟

قاده (دى مال) إلى بقعة عُشبيّة ، على مقربة من حقل
أعواد الغاب ، وأشار إلى بقعة فوحلة ، وقال :

— لقد وصل الاثنان إلى هنا ، وجلس أحدهما مستندًا إلى
جذع هذه الشجرة ، على حين اتجه الآخر نحو حقل الغاب ،
وقتل أحدهما ذلك الثعبان بضربة واحدة ، من أحد أعواد
الغاب ، بعد أن استخدمه كرمح قاتل .

سأله (أندريه) في اهتمام :

— ما المثير للريبة في كل هذا ؟

أشار (دى مال) إلى جبل يتدلّى إلى جوار جذع الشجرة ،
وغمغم :

— هذا .

عقد (أندريه) حاجبيه الكئيبين ، وهو يحدّق في الجبل ، ثم
برقت عيناه ببريق وحشيّ غريب ، ورفع عينيه بغتة إلى أعلى
الشجرة ، حيث الأغصان الكثيفة المتشابكة ، وازداد تألّق
عينيه ، حينما لمح ذلك الظلّ الخبيّ بينها ، فخفض عينيه ، وابتسم
في دهاء ، وهو يقول في صوت مرتفع .

— إنه أمر طبيعيّ يا (دى مال) ، طبيعيّ تمامًا .

وقاده بعيدًا ، قبل أن يهمس له في حُبث :

— طبيعيّ في حروب الأعراس .

ثم أشار إلى خمسة من رجاله ، وانتحي بهم ركنا جانبيًا ،
فلحق بهم (كال) ، وسأله في توثر :

— ماذا هناك ؟

أشار (أندريه) بِطَرْفٍ خَفِيّ إلى الشجرة ، وابتسم في
دهاء ، وهو يقول في شراسة :

— إنهما يختبئان هناك ، أعلى تلك الشجرة .

سأله (كال) في انفعال ، وهو يختلس النظر إلى الشجرة
بدوره :

— كيف عرفت ؟

اتسعت ابتسامته (أندريه) ، وهو يقول في حُبث :

— لقد تسلّقاها بواسطة جبل من الألياف ، ولكنهما نسيا
أن يرفعا الجبل بعد صعودهما .

هتف (كال) في انفعال :

— مُر رجالك بإمطارهما بالرصاص إذن .

تطلّع إليه (أندريه) في إشفاق ، وقال في ازدراء :

— ليس هكذا تدار الحروب يا رجل .. لا بُدّ من انتزاع
الجبل أوّلاً ، حتى نقطع عليهما خطّ الرّجعة تمامًا .

ولمّا كان رجال (أندريه) يجهلون موضع هدفهم
بالتحديد ، فقد راحوا يطلقون النار في كل الاتجاهات ،
وصنعوا بدورهم دائرة جهنمية أخرى ..
دائرة النيران ..



ثم أشار إلى رجاله الخمسة ، مستطرذاً في حزم :
— نفذوا .
شهر الرجال الخمسة مدافعهم الآلية ، واتجهوا في حزم نحو
الشجرة ، على حين صوّب الآخرون مدافعهم إلى أعلاها ..
ثم جذب أحد الرجال الخمسة الحبل ..
شعر ببعض المقاومة في البداية ، ثم سقط جسم من أعلى
الشجرة ..
وبعد فوات الأوان ، أدرك الرجال الخمسة طبيعة ذلك
الجسم ، فتراجعوا في ذعر ، ولكن ..
قلنا بعد فوات الأوان .. للأسف ..
لقد كان ذلك الجسم عبارة عن عشرة رماح بدائية ، من
أعواد القاب ، يربط مؤخراتها عُود واحد ، على هيئة مُشط ..
مُشط قاتل هوى على أجساد الرجال الخمسة ، واخترقها
بلا رحمة ..
وفجأة ، انطلقت ثلاث رصاصات ، من منطقة مجاورة ،
أصابت إحداها أحد رجال (أندريه) الذي صرخ في غضب
وصرامة :

— اقتلوهما .. أطلقوا النار ..

١٠ - رِمَالِ الْمَوْتِ ..

ارتجف جسد (خالد) في توثر ، حينما بلغ صوت طلقات
النيران الغزيرة مسامعه ، وغمغ في انفعال :

— يبدو أن حطتْك قد نجحت يا سيادة المقدم .. لقد جذبوا
الحبل ، فسقط عليهم مُشط الرِّماح ، وانجذب زناد المسدس ،
فأطلق رصاصاته الثلاث نحوهم .

تمم (أدهم) ، وهو يشق طريقه وسط الأحرار في
صعوبة :

— أتعشم أن يعطلهم ذلك بعض الوقت .

غمغم (خالد) :

— ينبغي أن يحدث ذلك ، فقد ضحينا بالمسدس ، وبكل
ما حصلنا عليه من رماح ، ولم نعد نملك سلاحا واحدا .
ثم استطرد في توثر وعصبية :

— هلا أنزلتني يا سيادة المقدم ؟ .. إنك تحملني كالطفل ،

منذ غادرنا حقل الغاب ، وهذا يُورثني مزيدا من الشعور
بالعجز ، وبأنني أعيق تقدُّمك .

توقف (أدهم) على الفور ، وسأله في تعاطف :

— أيمكنك السير ؟

أجابه (خالد) في حزم :

— يمكنني أن أحاول .. وأن أحتمل .

أنزله (أدهم) في هدوء ، وانتظر حتى أمكنه الوقوف في
ثبات ، ثم قال :

— علينا الآن أن نبتعد بأقصى قدر ممكن ، فخدعتنا
ستؤخرهم قليلا ، ولكنهم سيعاودون مطاردتنا بمزيد من
الشراسة والإصرار .

غمغم (خالد) :

— حسنا .. هيا بنا .

سارا جنبًا إلى جنب .. يشقان طريقهما وسط الأحرار في
صعوبة ، حتى وصلا إلى منطقة واسعة ، يغطيها العشب ،
فابتسم (خالد) ، وهو يقول :

— حسنا .. سنرتاح من إبعاد الأغصان ، وتحمل أشواكها
لبعض الوقت على الأقل .

قال (أدهم) في هدوء :

— لكل عملة وجهان يا (خالد) .. فهذا سيجعلنا صيدا
سهلا أيضا .

هز (خالد) كتفيه ، وابتسم في شحوب ، وهو يقول :
— لكل شيء مساوئه .

ابتسم (أدهم) بذوره ، وانطلقا يشقان طريقهما ،
بأقصى سرعة يسمح بها كاحل (خالد) المتورم ، حتى غمغم
هذا الأخير في ألم :

— أظن أنني لن أتغلى عن كوني عائقاً أبداً .

توقف (أدهم) ، ليسأله في إشفاق :

— أحتاج إلى التوقف بعض الوقت ؟

خفض (خالد) وجهه أرضاً ، وهو يقول في مرارة :

— أظن ذلك ، فالأم كاحل لم تعد تُحتمل .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— لا عليك يا صديقي .. القافلة تسير بقدر احتمال

أضعفها .

وعاونه على الجلوس ، وهو يستطرد في مرح :

— لقد كنت أحتاج أنا أيضاً إلى بعض الراحة في الواقع .

رمقه (خالد) بنظرة امتنان ، وقال :

— شكراً لك يا سيادة المقدم .

ران عليهما الصمت لحظة ، ثم استطرد (خالد) :

— أما من وسيلة للحصول على أسلحة بدائية أخرى ؟
تلقت (أدهم) حوله ، ثم أشار إلى جذع شجرة قديمة ،
ملقى وسط الرمال ، وقال :

— أظن بعض أغصان ذلك الجذع القديم ستفي بالغرض .
ونهض في هدوء ، واتجه في خطوات سريعة نحو الجذع ،
فابتسم (خالد) في شحوب ، وهو يغمغم :

— يالك من رجل !.. إنك تستحق حقاً لقب (رجل
المستحيل) ..

وفجأة ، رأى (أدهم) يتسمر مكانه ، فاعتدل في جدّة ،
وهتف :

— ماذا هناك ؟

أجابته (أدهم) في توثر :

— اللعنة !!.. إنها بعض الرمال المتحركة .

هَبَّ (خالد) واقفاً ، وهو يهتف :

— ماذا ؟

ثم اندفع نحو (أدهم) ، مستطرداً في جزع :

— لا تتحرك إذن ، فكل حركة منك ستزيد غوصك
داخلها .. سأحاول أنا أن

تعثر فجأة ، بسبب كاحله الملتوى المتورم ، وحماسه
الشديد ، فسقط أرضاً ، وارتطمت رأسه بحجر ، فتأوه في
قوة ، ثم سقط فاقد الوعي ، تاركاً (أدهم) وحيداً ، وسط
بركة من رمال الموت المتحركة ..

ووجد (أدهم) نفسه ، وقد فقد أمله الوحيد في النجاة
من تلك الرمال المتحركة القاتلة ..

ووجد جسده يفوص فيها ..

ويفوص ..

ويفوص ..

(انتهى الجزء الثاني ، ويليه الجزء الثالث)

[أسوار الجحيم]

المؤلف



د. نيل فاروق

**رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للمشاهير
زاهية
بالأحداث
المشيرة**



الثمن في مصر



وما يعادله بالدولار

الأمريكي في سائر

الدول العربية

والعالم

الدائرة الجهنمية

- ثرى مامصير (أدهم صبرى) فى معتقلة الرهيب ؟
- ماسر تلك الدائرة الجهنمية ، التى تُحاك للاقتصاد المصرى فى (تاوان) ؟
- أينجح (أدهم) و (منى) فى تحطيم تلك المؤامرة ، أم تهزهما تلك (الدائرة الجهنمية) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ؛ لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : أسوار الجحيم